رؤية دينية
للتسامح والسلام

إعداد
د. جوتيار محمد رشيد

رؤية دينية
للتسامح والسلام

رؤية دينية

للتسامح والسلام

إعداد

د. جوتيار محمد رشيد

دهوك 2012

جامعة دهوك
مركز دراسات السلام وحل النزعات

لجنة المانونايت المركزية

اسم الكتاب: رؤية دينية للتسامح والسلام
اعداد: د. جوتيار محمد رشيد
الاخراج الفني والغلاف: هكار فندي
عدد النسخ: (500)
المطبعة: مطبعة (خانى) دهوك
رقم الايداع: (2151) لدى مكتبة البدرخانيين في دهوك لسنة 2012 .

طبع هذا الكتيب بدعم من
Mennonite Central Committee, Erbil

المحتويات

■ **تقدمة**

د. جوتيار محمد رشيد 7

■ **الإسلام وأهل الذّمة: التسمية والمدلول**

د. مصلح صالح الدّوسكِي 11

■ **التعايش السلمي من منظور مسيحي**

الأب شليمون إيشو 45

■ **الديانة الايزيدية والتسامح**

د.سعيد خديدة علو..... 55

■ **السلام في الإسلام**

د. إسماعيل ابابكر علي 81

■ **منظور المسيح (ع) للتعايش السلمي**

الأب حنا عيسى 111

■ **الايزيدية ديانة متسامحة ولها مشتركات مع بقية الأديان**

خيري بوزاني 112

تقدمة

تبرز الحاجة الملحة لزيادة فهم الدور الذي يلعبه الدين في مختلف مظاهر الحياة الإنسانية عندما لا يُفهم الدين جيدا أو بصورة أكثر تحديداً عندما يستغل الدين لتحقيق أغراض غير العبادة أي لتبرير القمع أو القهر وإذكاء الصراع. فخلال الحقب التاريخية المختلفة كانت القوة التدميرية للعنف، الذي حركته دوافع اكتست صبغة دينية، حقيقة صارخة ومروعة عاشتها الشعوب في جميع أنحاء العالم. ومع تنوع التقاليد الروحية عبر التجربة الإنسانية والتأثير القوي للعقيدة في حياة الشعوب والمجتمعات، يصعب تفادي دور الدين وتجاهله. في حين أن الدين لا يلعب دورا نشطا في كل خلاف، إلا انه وقتما ينفجر موقف للصراع غالبا ما يشكل الدين جزء من السياق الاجتماعي والثقافي الذي يحيط بالخلاف.

هذه المنطقة بدورها شهدت، وخلال حقب مختلفة، حالات من التوتر والاضطراب، فسر أو أضفي على البعض منها طابع ديني لأسباب لا علاقة لها بمضامين النصوص والتقاليد الدينية. فلا

تزال الذاكرة تخلو من أي شواهد بأن تعاليم دينية محددة أو نص محدد ارتبط بالصراع أو الخلاف بشكل معين، كما تخلو الذاكرة من وجود محاولة قام فيها طرف بإجبار الطرف الآخر على إتباع قيم ومعتقدات دينية لا يؤمن بها.

إن الاختلافات الدينية قد تدفع للاعتقاد بأن الدين في حد ذاته سبب خطير للصراع، غير أن هذا الاعتقاد ليس في محله. فاختلاف القيم والمعتقدات الدينية لا يعني سببا للنزاع، حيث يُمكن للناس أن يعيشوا في انسجام رغم اختلاف قيمهم ورغم اختلافهم في تفسير الأحكام. والاختلاف في المعتقدات حقيقة ترجع إلى تنوع الرؤى للعلاقة بين الخالق والمخلوق، لكن عندما يتعلق الأمر برؤى العلاقة بين المخلوق والمخلوق نجد أن هذا الاختلاف يتقلص وينكمش بل نراه في مواضع يختفي تماما؛ فما من ديانة لا تدعوا أحكامها للسلام والتسامح والمعاملة الحسنة للآخرين، وما من ديانة تفرض على أتباعها العيش بمعزل تام عن الآخرين. والأديان المتعايشة مع بعضها البعض في كوردستان، وبصفة خاصة في محافظة دهوك (الاسلام والمسيحية والإيزدية)، تتضمن عددا كبيرا من القيم المشتركة: الرحمة والمحبة والتعاطف والتسامح واحترام الكرامة الإنسانية وقدسية الحياة البشرية. وعلى الرغم من اختلافات التقاليد وتفسير التعاليم من ديانة إلى أخرى، إلا أن هذه القيم تشكل أرضية مشتركة

وسنداً قوياً ترتكز عليه مختلف مظاهر النشاط الإنساني لمجتمعنا.

إن التاريخ الطويل والممارسة المستمرة لعملية السلام القائمة على العقيدة والتي يتم الاعتراف بها بصورة متزايدة، تشير إلى أن الدين يقدم موارد كبيرة من أجل حل الخلافات إلا أنها غير مستغلة أو لا تستغل على الوجه الأكمل. ولا يمكن أن ننكر حقيقة دور الدين الهام في مساعدة المجتمعات في حل الخلافات وتعزيز حقوق الإنسان والتغلب على مواقف الظلم الشديدة والحث على الحل السلمي الخلافات

هذا الكتيب يعد مساهمة متواضعة تهدف إلى إبراز القيم والمعتقدات الدينية التي تحظى باحترام الجميع وتساعد في تعزيز الجسور القائمة بين أفراد هذا المجتمع. ويتألف من ست مقالات تعبر عن رؤى دينية لمفاهيم التسامح والسلام والتآخي والاعتراف بالتعددية وقبولها والعيش في إطارها، تولى إعدادها رجال دين ومتخصصون في الشؤون الدينية. وعلى الرغم من انه قد لا يضيف جديدا إلى المعرفة الإدراكية في هذا الشأن، إلا أن أهمية هذا الكتيب تكمن في كونه مساهمة متعددة الأطراف تشكل تجسيدا ومثالاً للرغبة المشتركة في العيش بتآخ ووئام في مجتمع على الرغم من اتسامه بالتنوع الديني فإنه يخلو من التنافر والبغضاء ولديه العديد من القواسم

المشتركة التي تعزز التعاون. من جهة أخرى، يمثل هذا العمل مساهمة من جامعة دهوك والتزاما منها بتوسيع دائرة اهتمامها ليس بتلبية حاجات المجتمع في تهيئة الكوادر والمؤهلات العلمية فحسب بل ليشمل أيضا كافة القضايا والمسائل التي تهم قطاعات المجتمع.

ونود هنا أن نشكر مؤلفي المقالات على تعاونهم ومساهمتهم في انجاز هذا العمل. ونتقدم بخالص الشكر إلى "لجنة المانونايت المركزية" لدورها ودعمها الفعال والأساسي في إعداد وإصدار هذا الكتيب. كما نتوجه بجزيل الشكر إلى السيد رئيس جامعة دهوك والسيد مساعد رئيس جامعة دهوك لشؤون العلاقات الدولية لتشجيعهما وتقديمهما التسهيلات لانجاز هذا العمل.

د. جوتيار محمد رشيد
مركز دراسات السلام وحل النزاعات
جامعة دهوك

الإسلام وأهل الذّمة: التسمية والمدلول

د. مصلح صالح الدّوسكِي

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد، جامعة زاخو
أمام وخطيب جامع گرى باسى، دهوك

مقدمة

إن الحمد للّٰه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللّٰه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده اللّٰه، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا اللّٰه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[1].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[2].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[3].

أما بعد: فإن من بديهيات خصائص الشريعة الإسلامية أنها خاتمة الشرائع السماوية، وكونها ذات نزعة عالمية، فالخاتمية والعالمية يقتضيان منها أن تكون شريعة مبنية على نهج متين، وأسس حكيمة نابعة من منطق العقل، وأن يلازمها الاعتدال، والسماحة، والتوازن، ومسايرة الفطرة الإنسانية في جميع تشريعاتها، وأن تواكب الواقع المعيشي للمجتمعات، وأن تراعي اختلاف العقائد والأديان، واختلاف الطبائع والميول، وأن تتبنى إقرار الأمن والسلام، والحرص على تطبيق العدل والمساواة والحرية، وصون الكرامة الإنسانية، وكل ما من شأنه الحفاظ على حقوق الإنسان، والبعد عن كل عوامل الهدم والعنف.

لكن بالرغم من ذلك نجد من أساء إلى الإسلام وشريعته، إما حقداً عليه، أو لسوء فهمه لشريعة الإسلام.

فالإسلام في أيامنا هذه أحوج ما يكون إلى من يحسن عرضه على الناس، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجوهر ذلك الاعتدال في الخطاب والحرص على كسب العقول والقلوب، وذلك لا يتأتى إلاّ بالابتعاد عن التطرف، وعن تبني

الآراء المسبقة لإرغام الناس على الأخذ بها، وكذلك لابد من وقف المحاولات التي يبذلها المتطرفون ـالذين لا يرون العالم إلا من خلال مناظيرهمـ لإقصاء من يخالفهم في الرأي، أو يختلف معهم في الفهم وإن كان على ملتهم ودينهم، وحجتهم في ذلك نصوص مبتورة عزلوها عما سبقها ولحقها، وتمترسوا وراءها فلم يعرفوا لها علة ولا مناسبة، أو أقوال لمن سبقهم يتعصبون لها دون إدراك لملابساتها أو الظروف الموضوعية التي قيلت فيها، وإنما هو تعصب وتقليد أعمى.

ولتوضيح أن الإسلام سلم وسلام وأمان، وأنه يؤمن بالتعايش السلمي، وأنه راعى اختلاف الناس في توجهاتهم العقدية والدينية، وأنه لا يرى إكراه الناس على الدخول فيه، كتبت هذه الورقات.

هذا وقد التزمت في كتابة البحث بالقواعد المتبعة في كتابة البحوث العلمية الأكاديمية في المعاهد والجامعات، وقسمته على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة تتضمن أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث. فأما المبحث الأول: فخصصته لتوضيح مفهوم الإسلام لغة واصطلاحا، وقسمته على مطلبين، فأما المطلب الأول فذكرت فيه مفهوم الإسلام في اللغة، وأما المطلب

الثاني فوضحت فيه مفهوم الإسلام في الاصطلاح الشرعي. وأما المبحث الثاني: فخصصته لتعريف أهل الذمة لغة واصطلاحاً، لتوقف فهم تعريفه الاصطلاحي، وضبطه على معناه اللغوي، فذكرت فيه أهم معاني الذمة في اللغة، وأكثرها شيوعاً، وتداولاً مما له علاقة بموضوع بحثنا. وأما المبحث الثالث: فخصصته لذكر وصايا النبيّ ﷺ بأهل الذمة والتحذير من إيذائهم، وقسمته على ثلاثة مطالب، فأما المطلب الأول فذكرت فيه تحريم قتلهم بغير حق وأما المطلب لثاني فذكرت فيه تحريم ظلمهم وانتقاصهم وتكليفهم فوق طاقتهم وأما المطلب الثالث فذكرت فيه تحريم دخول منازلهم بغير إذن. واللّٰه وليّ التوفيق.

المبحث الأول
مفهوم الإسلام لغة واصطلاحا

المطلب الأول
مفهوم الإسلام في اللغة

كلمة الإسلام مشتقة من السلم ((السين واللام والميم)) ومعظم بابه من الصّحّة والعافية[4].

فالسّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذَى. قال أهلُ

العلم: اللّٰه جلَّ ثناؤُه هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، ولأنه الباقي الدائم الذي يفني الخلق ولا يفنى، وهو على كل شيء قدير[5]. قال اللّٰه جلَّ جلاله: (السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ)[6].

قلت: ومن هذا الباب أيضاً تسمية الجنة بدار السلام، قال تعالى: (واللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلاَمِ)[7]. لأنها دار السلامة من الآفات، أو لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى[8].

وقال الزجاج[9]: ((سميت دار السلام، لأنها دار السلامة من الموت والهرم والأسقام))[10].

ومن الباب أيضاً تسمية بعض أنواع الشجر باسم السلام[11].

قال الأزهري[12]: ((وأما السلام: الشجر فهو شجر قويٌّ عظيم أحسبه سمي سلاماً لسلامته من الآفات))[13].

ومن الباب أيضاً تسمية الحجارة الصلبة بالسلام، وذلك لسلامتها من الرخاوة[14].

ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع[15]. ولأن الخضوع والانقياد أدعى إلى السلام قال تعالى (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)[16].

فالإسلام: الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله ألم من صاحبه[17].

قلت: ومصداقه وتأكيده قول النبيّ ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،وَالْمُؤْمِنُ مَنْ آمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[18]، فكأنه قصر وصف المسلم والمؤمن على من اتصف بهذه الصفة.

وقوله تعالى: (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)[19]. معناه: أن من اتبع هدى اللّٰه سلم من عذابه وسخطه.[20].

أما السَّلامُ بمعنى التحية، فيجوز أن يكون السَّلامُ جمع سَلامة ومعناهما: السَّلامَةُ من جميع الآفات، إذ السلام دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ودنياه[21].

فالتَّسْلِيمُ مشتق من السَّلام اسم الله تعالى، لسلامته من العيب والنقص، وقيل: معناه أن الله مُطَلِعٌ عليكم فلا تَغْفَلوا، وقيل: معناه اسم السَّلامِ عليكَ إذ كان اسم الله تعالى يُذْكَرُ على الأعمال تَوَقُّعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتفاء عَوارض الفساد عنه، وقيل: معناه سَلِمْتَ مني فاجعلني أَسْلَمُ منك من السَّلامة بمعنى السَّلام[22].

هذا وقد ذكرت مادة (**سلم**) وما يشتق منها في القرآن الكريم في مائة وثمانية وثلاثين موضعاً[23].

أما كلمة (**الإسلام**) فقد وردت في القرآن الكريم ثماني مرات، منها ست في سور مدنية، واثنتان في سورتين مكيتين[24].

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ **الْإِسْلَامُ** وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[25].

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ **الْإِسْلَامِ** دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[26].

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ **الْإِسْلَامَ** دِينًا)[27].

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى **الْإِسْلَامِ** وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[28].

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ **لِلْإِسْلَامِ**)[29].

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ **لِلْإِسْلَامِ** فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)[30].

(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ **إِسْلَامَكُمْ** بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[31].

(وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ **إِسْلَامِهِمْ** وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا)[32].

وقد تتبع الأستاذ أحمد أمين[33] مادة (سلم) في كتابه فجر الإسلام، فقال: ((إذا تتبعنا مادة (س ل م) ونشوء كلمة (الإسلام) رأينا أن معنى السلام: المسالمة، وضد المسالمة الحرب والخصام. جاء في القرآن: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[34]. **ولعل هذه الآية هي المفتاح الذي نصل به**

إلى معرفة السبب في تسمية العهد الذي قبل محمد ﷺ جاهلية وعهده إسلاماً، والجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم، ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة، جاء في حديث الإفك: ((وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ))[35] أي حملته الأنفة والغضب على الجهل، وفي الحديث أن رسول اللّٰه ﷺ قال لأبي ذر وقد عيّر رجلاً بأمه: ((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))[36] أي فيك روح الجاهلية، وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشيء أي استخفه، ومنه قوله: وقاك الهوى واستجهلتك المنازل[37]

وفي معلقة عمرو بن كلثوم[38]:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

فترى من هذا كله أن كلمة (الجاهلية) تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة وهي أمور أوضح ما كانت في حياة العرب قبل الإسلام، فسمي العصر (الجاهلية). ويقابل هذه المعاني هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهي كلها نزعة سلام، فمعنى الآية كما قال الطبري[39]: ((أن عباد اللّٰه هم الذين يمشون على الأرض بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم))، ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا، وهو استعمال

(**أسلم**) المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد، لما كان الخضوع أدعى إلى السلام، وفي هذا المعنى جاءت الآية (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)[40](فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ)[41] وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا، لأنهم خاضعون للّه ومنقادون له بحكم خلقتهم، رضوا أو كرهوا تسري عليهم قوانين العالم ولا يستطيعون الخروج عليها (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[42]، فكل من في السموات والأرض مسلم بهذا المعنى، أي خاضع لأمر اللّه، مطيع لما وضع في العالم من قوانين.

ثم قصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه للّه طوعا، فكأن المسلم هو الذي رضي بإطاعة اللّه، فاجتمعت له الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[43] وبهذا المعنى تطلق كلمة ((**مسلم**)) على كل من خضع للّه وأطاع أي نبيّ من الأنبياء، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[44]، (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[45] وفي سورة يوسف[46] (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)، (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[47] **ثم خصت في الاستعمال بالدين الذي أتى به محمد ﷺ، وبهذا المعنى ورد قوله** تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ **الْإِسْلَامَ** دِينًا)[48]. (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ **الْإِسْلَامِ** دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[49]. **فهذا الإسلام عماده الخضوع للّه، والانقياد له، ولعلّ هذا الإسم أنسب اسم للرد على العقلية الجاهلية، عقلية الأنفة والحميّة))**[50].

المطلب الثاني
مفهوم الإسلام في الاصطلاح الشرعي

وأما الإسلام شرعاً: فَيَخْتَلِفُ مَعْنَاهُ تَبَعًا لِوُرُودِهِ مُنْفَرِدًا، أَوْ مُقْتَرِنًا بِالإِيْمَانِ.

فَمَعْنَاهُ مُنْفَرِدًا: الدُّخُول فِي دِينِ الإِسْلاَمِ، أَوْ دِينُ الإِسْلاَمِ نَفْسُهُ. وَالدُّخُول فِي الدِّينِ هُوَ اسْتِسْلاَمُ الْعَبْدِ لِلَهِ عَزَّ وَجَل بِاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ مِنَ الشَّهَادَةِ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَالْعَمَل بِالْجَوَارِحِ .

وَمَعْنَاهُ إِذَا وَرَدَ مُقْتَرِنًا بِالإِيمَانِ هُوَ: أَعْمَال الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةُ، مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ كَالشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلاَةِ وَسَائِرِ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ[51].

وبناء على ما تقدم يمكننا القول: أن من أبرز المفاهيم التي تترشح من مدلولات كلمة (الإسلام) أن الإسلام يؤمن بالسلام والتعايش السلمي، ويحث عليه بإخلاص وحسن نيّة، إذ جعله شعارا له في التسمية والعبادة والتحية في الدنيا والآخرة، ودعا له في السلم والحرب، حتى سمى بها اللّٰه سبحانه وتعالى داره التي أعدها للمتقين في الآخرة، وفيما يأتي النصوص التي تؤيد هذه الاستنتاجات وتؤكدها.

(اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ **السَّلَمَ** فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)[52].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ **السَّلَامَ** لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[53].

(وَإِنْ جَنَحُوا **لِلسَّلْمِ** فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[54].

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ **سُبُلَ السَّلَامِ**)[55].

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا **سَلَامًا**)[56].

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ **سَلَامٌ** عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)[57].

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ **سَلَامٌ** عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[58].

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ **لِلْإِسْلَامِ** فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)[59].

(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا **فَسَلِّمُوا** عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[60].

(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ **سَلَامٌ** وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)[61].

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا **سَلَامٌ** وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[62].

(لَهُمْ **دَارُ السَّلَامِ** عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[63].

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى **دَارِ السَّلَامِ** وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[64].

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ **سَلَامٌ** عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[65].

(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا **سَلَامٌ** عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[66].

(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا **سَلَامًا** وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[67].

فهذه نصوص قطعية ـلا تحتمل الاختلاف وتعدد الآراءـ أبرزت بوضوح خصيصة من أبرز خصائص الإسلام اللازمة له والتي لا تنفك عنه، وهي كون الإسلام سلاماً لفظاً ومعنى، شكلاً ومضموناً، وهذا أمر في غاية الأهمية إذ نرى في هذا الزمن أن أعداءه يتهمونه بما ليس فيه من أوصاف العنف والتعصب والتزمت والتطرف والإرهاب وإقصاء الآخر ونشر الكراهية .... إلخ، لكن مما يؤسف له أن بعضاً ممن ينتسب للإسلام يساعدهم في ذلك بصورة غير مباشرة، لكن مؤثّرة، وذلك من خلال إساءته لفهم رسالة وشريعة الإسلام، ومن خلال الممارسات الخاطئة البعيدة كل البعد عن هدي النبي ﷺ، وحتى من خلال عرضه المنفر للإسلام، والمشوه لصورته الجميلة.

المبحث الثاني
مفهوم أهل الذمة

المطلب الأول
مفهوم أهل الذمة في اللغة

الذمة لغةً: وردت كلمة الذمة في اللغة العربية للدلالة على معان عدّة، أهمها مما له علاقة بموضوع بحثنا. **العهد والكفالة، والأمان، والحق والحُرْمة التي يُذَمُّ مُضَيِّعُها**[68].

فأما الذمة بمعنى العهد والكفالة فمنه قوله تعالى }لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً{[69]، فالذِّمَّةَ: العهد، والإِلّ: الحِلف[70].

ومنه أيضاً ما ورد في الحديث عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ))[71]. أي: أن لكل أحد من اللّه عهداً بالحفظ والكِلايَةِ، فإذا ألْقى بيده إلى التَّهْلَكَةِ، أو فعل ما حُرِّمَ عليه، أو خالف ما أمِرَ به، خَذَلَتْهُ ذِمَّةَ اللّه تعالى[72].

ومنه أيضاً ما ورد عن عليّ ﷺ: ((ذِمَّتي رَهِينُه وأنا به زعيم))[73]. أي: ضماني وعهدي رَهْنٌ في الوفاء به[74].

قال الجرجاني[75]: ((الذمة لغة: العهد ،لأن نقضه يوجب الذم))[76].

وقال ابن فارس[77]: ((فأمّا العَهْد فإنَّه يسمَّى ذِماماً، لأن الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه. وهذه طريقة للعرب مستعملةٌ، وذلك كقولهم: فلانٌ حامي الذِّمار، أي يَحْمي الشَّيءَ الذي يُغضِب، وحامي الحقيقة، أي يَحْمِي ما يحقّ عليه أن يمنَعَه))[78].

وأما الذمة **بمعنى الأمان**، فمنه ما ورد في الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ اقْلِبْنا بذِمَّةٍ عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ))[79]. فالذِّمّةَ هنا بمعنى الأمان، يقول: إذا أعْطى الرجلُ من الجيش العدوَّ أماناً، جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يُخْفِروه، ولا أن يَنْقَضوا عليه عهده، فالذِّمَّةَ هي الأمان، ولهذا سمي المَعاهَدُ ذِمِّيّاً، لأنه أعْطيَ الأمان على ذِمَّةِ الجِزْيَة التي تؤخذ منه، فلأنهم أدَّوا الجزْية أمِنُوا على دمائهم وأموالهم[80].

ومنه أيضاً ما ورد في الحديث في دعاء المسافر: ((()[81]. أي: ارْدُدْنا إلى أهلنا آمنين[82].

وأما الذمة **بمعنى الحق والحرمة التي يُذَمُّ مُضَيِّعُها**، فمنه ما ورد في الحديث عَنْ حَجَّاجِ بْنِ حَجَّاجٍ الأَسْلَمِيِّ عَنْ أبيهِ أَنَّهُ قَالَ: ((يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُذْهِبُ عَنِّي مَذَمَّةَ الرَّضَاعِ؟))[83].

فالمذمَّةَ: بالفتح مَفْعَلةٌ من الذَّم، وبالكسر من الذِّمَّة والضِّمام. وقيل: هي بالكَسْر والفَتح: الحَقُّ والحُرْمة التي يُذَم

مُـضَيّعها ، والمراد بمذَمَّـة الرَّضـاع: الحَـقُّ الـلاَزِم بـسَبب الرَّضـاع، فكأنَّه سألَ: مـا يُـسْقِط عـني حَقَّ المُرْضعة حتَّى أكون قد أدَّيتـه كاملا؟ وكانوا يَسْتَحِبُّون أن يُعْطـوا لِلمُرْضعة عندَ فِصَالِ الـصَّبيِّ شيئاً سِوى أجْرتها[84].

ومنه أيضاً قول الشاعر[85]:

تكَنْ عَوْجةً يَجزِيكما اللّٰه عندها بها الأجْرَ، أو تُقضى ذِمامةَ صاحب

ذِمامة: حُرْمَةٌ وحق[86].

ومنه أيضاً قول الشاعر[87]:

فلا تَنْشُدُونا من أخيكم ذِمامةً ويُسْلِم أصْداءَ العَوِير كَفِيلَها

فالذِّمامُ: كل حرمة تَلزمك إذا ضَيَّعْتَها المَذَمَّةَ[88].

ومنه أيضاً قول العرب: فـلان لـه ذِمَّـة. أي: حق[89]. وتقـول العرب أيضاً: وللرفيق على الرفيق ذِمامٌ. أي: حق[90].

وسُمِّيَ أهل الذِّمَّةِ ذِمَّةً لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، ولذلك يسمى أهلُ العهد أهلَ الذِّمَّةِ، فرجل ذِمِّيٌّ معناه: رجل لـه عهد[91].

المطلب الثاني
مفهوم أهل الذمة اصطلاحا

عـرَّف بعـض المعاصـرين أهـل الذمـة اصـطلاحًا بقولـه: ((المواطنـون غـير المـسلمين الـذين يحملـون جنـسية الدولـة

الإسلامية))[92].

قلت: وهذا تعريف غير دقيق، فكلمة ((غير المسلمين)) في تعريف الباحث المعاصر تشمل كل الكفار، وهناك من الكفار من لا يقبل منه عقد الذمة، كالمرتد مثلًا.

وبعد النظر في تعريف بعض الفقهاء المتقدمين لعقد الذمة -حيث عرّفوه بأنه: ((إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية، والتزام أحكام الملة))[93] يمكن تعريف أهل الذمة بتعريف أدق وهو: أنهم الكتابيون - ومن جرى مجراهم- الذين رضوا بجريان أحكام الملة عليهم، فبذلوا الجزية[94]، والتزموا بأحكام أهل الذمة في دار الإسلام.

أما المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فظاهرة جلية، إذ **تعهدت** الدولة الإسلامية و**تكفلت** بحماية الذمي، وعدم التعرض له في نفسه وأهله وماله بأذى، وأعطته **الأمان** على ذلك، فأصبح الذمي ذا **حق وحرمة**، مقابل بذله للجزية، والتزامه لأحكام وقوانين الشريعة الإسلامية.

فلا تنافي في دلالة كلمة الذمة على معاني **العهد والكفالة، والأمان، والحق، والحَرْمة التي يُذَمُّ مُضَيِّعُها**، لأن التعريف الاصطلاحي يشتمل على جميع المعاني المتقدمة، كما سبق. واللّه أعلم.

المبحث الثالث
وصايا النبيّ ﷺ بأهل الذمة والتحذير من إيذائهم

المطلب الأول
تحريم قتلهم بغير حق

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا))[95].

فالحديث واضح وصريح في حرمة قتل الذميين، وحقن دمائهم، إذ شدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم، واعتبر النبيّ ﷺ اعتداء المسلم على الذمي إثما عظيما، وهو مستحق للعقوبة على اختلاف في ذلك بين الفقهاء كما عليه دفع ديته.

قال في المغني[96]: ((إذا بذلوا الجزية لزم قبولها، وحرم قتالهم، لقولِ اللّه تعالى:)قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) إلى قوله:)حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[97]، فجعل إعطاء الجزية غاية لقتالهم، فمتى بذلوها، لم يجز قتالهم، وقولِ النبي ﷺ: ((فَادْعُهُم إلى أداءِ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ))[98].

المطلب الثاني
تحريم ظلمهم وانتقاصهم وتكليفهم فوق طاقتهم

عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً[99]، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ[100]، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ[101]، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ[102] يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[103].

ومعلوم من الدين بالضرورة أن((النصوص العامة تحرم العدوان على الآخرين، قال اللّٰه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[104]، كما تمنع العدوان على الآمنين المسالمين، قال اللّٰه تعالى: (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)[105]، والظلم محرم في كل شريعة، واللّٰه تعالى لا يرضى بظلم غير المسلم، كما لا يرضى بظلم المسلم، وقد أخبر تعالى أنه لا يظلم الناس شيئاً، فدخل في عموم هذا اللفظ جميع الناس من مسلم وغير مسلم))[106].

فيجب الكف عنهم وحمايتهم، لأنهم صاروا جزءاً من دار الإسلام، والتزم المسلمون بأمنهم وحمايتهم من أي اعتداء سواء أكان من المسلمين، أم من غيرهم، بموجب عقد الذمة الذي أبرم معهم.

جاء في المغني[107]: ((وإذا عقد الذمة، فعليه حمايتهم من المسلمين، وأهل الحرب، وأهل الذمة، لأنه التزم بالعهد حفظهم،

ولهذا قال علي ﷺ: إنما بذلوا الجزية، لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا، وقال عمر ﷺ في وصيته للخليفة بعده: وأوصيه بأهل ذمة المسلمين خيراً أن يوفي لهم بعهدهم، ويحاط من ورائهم)).

بل ذهب بعض الفقهاء إلى أبعد من ذلك، إذ حكموا بأن ظلم الذمي أشد إثماً من ظلم المسلم، جاء في حاشية ابن عابدين[108]: ((وَتَحْرُمُ غِيبَتُهُ كَالْمُسْلِمِ، لِأَنَّهُ بِعَقْدِ الذِّمَّةِ، وَجَبَ لَهُ مَالَنَا، فَإِذَا حَرُمَتْ غِيبَةَ الْمُسْلِمِ حَرُمَتْ غِيبَتُهُ، بَلْ قَالُوا: **إِنَّ ظُلْمَ الذِّمِّيِّ أَشَدُّ**)).

ومنع الفقهاء تعذيب أهل الذمة إن امتنعوا من أداء الجزية، أو تأخروا عن ذلك استناداً على سنة النبيّ ﷺ فعن هِشَامٍ، عَنْ أبيه، قَالَ: مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ[109] بِالشَّامِ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ، فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا))، وزاد في رواية: ((وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: وَأَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى فِلَسْطِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ، فَخُلُّوا))[110].

فالشريعة الإسلامية لا تفرق بين الناس في المعاملات الإنسانية، وإن اختلفوا في الدين والعقيدة، لذلك فرضت تحقيق

العدل بين الناس جميعاً، وحرمت الظلم عامة، وتكفلت بحماية الدماء، والأموال، والأعراض، للمسلمين ولغير المسلمين، وأمرت بالإنصاف حتى مع الكفار. قال الله تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[111].

المطلب الثالث

تحريم دخول منازلهم بغير إذن

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْبَرَ، وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا[112] مُنْكَرًا، فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا، وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا، وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا؟ فَغَضِبَ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: ((يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ، ثُمَّ نَادِ: أَلاَ إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ، وَأَنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ)). قَالَ: فَاجْتَمَعُوا، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: ((أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلاَّ مَا

فِي هَذَا الْقُرْآنِ، أَلاَ وَإِنِّي -وَاللَّهِ- قَدْ وَعَظْتُ، وَأَمَرْتُ، وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ، أَوْ أَكْثَرُ، **وَأَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ**، وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ، وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ، إِذَا أَعْطَوْكُمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ))[113].

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان[114]: ((**ويتمتع الذميون بحرمة المسكن، فلا يدخل أحد عليهم إلا بإذنهم ورضاهم، لأن مسكن الشخص موضع أسراره، ومحل حياته الخاصة مع أفراد عائلته، وفيه أمواله، فمن الطبيعي أن يكون لهذا المحل حرمة، لا يجوز لأحد أن يخرقها، أو يعتدي عليها، لأن الاعتداء على حرمة مسكن الشخص اعتداء على الشخص نفسه، وقد قلنا: أن الشريعة الإسلامية تحرم الاعتداء على الذمي، وقد نص القرآن الكريم على المنع من دخول مساكن الغير بغير إذنهم، قال تعالى:** (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[115] **وهذا النص القرآني الكريم يشمل بعمومه الذميين، فلا يجوز لأحد أن يدخل بيوتهم بغير إذن منهم**))[116].

الخاتمــة

هذا ما تيسر لي بفضل اللّه تعالى من عرض لأهم معاني الإسلام وأهل الذمة في اللغة والاصطلاح، وتوضيح لأهم مدلولاتها، مع بيان أبرز ملامح تعامل الرسول ﷺ مع أهل الذمة، وسماحته معهم، من خلال ذكر وصاياه المتعلقة بأهل الذمة، وتحذيره من إيذائهم ويمكنني تلخيص ثمرات البحث فيما يلي:

1. كلمة الإسلام مشتقة من السلم ((السين واللام والميم)) ومعظم بابه من الصّحّة والعافية.

2. الإسلام: الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله ألم من صاحبه، ومصداقه وتأكيده قول النبيّ ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،وَالْمُؤْمِنُ مَنْ آمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[1]. فكأنه قصر وصف المسلم والمؤمن على من اتصف بهذه الصفة.

3. ذكرت مادة (**سلم**) وما يشتق منها في القرآن الكريم في مائة وثمانية وثلاثين موضعاً.

4. وردت كلمة (**الإسلام**) في القرآن الكريم ثماني مرات، منها ست في سور مدنية، واثنتان في سورتين مكيتين.

5ـ وأما الإسلام شرعاً: فَيَخْتَلِفُ مَعْنَاهُ تَبَعًا لِوُرُودِهِ مُنْفَرِدًا، أَوْ مُقْتَرِنًا بالإِيْمَانِ، فَمَعْنَاهُ مُنْفَرِدًا: الدُّخُول فِي دِينِ الإِسْلاَمِ، أَوْ دِينُ الإِسْلاَمِ نَفْسُهُ. وَالدُّخُول فِي الدِّينِ هُوَ اسْتِسْلاَمُ الْعَبْدِ لِلهِ عَزَّ وَجَل بِاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ مِنَ الشَّهَادَةِ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَالْعَمَل بِالْجَوَارِحِ .

وَمَعْنَاهُ إِذَا وَرَدَ مُقْتَرِنًا بِالإِيْمَانِ هُوَ: أَعْمَال الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَل كَالشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلاَةِ وَسَائِرِ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ.

6 ـ من أبرز المفاهيم التي ترشحت من مدلولات كلمة (الإسلام) أن الإسلام يؤمن بالسلام والتعايش السلمي، ويحث عليه بإخلاص وحسن نيّة، إذ جعله شعارا له في التسمية والعبادة والتحية في الدنيا والآخرة، ودعا له في السلم والحرب، حتى سمى بها اللّه سبحانه وتعالى داره التي أعدها للمتقين في الآخرة.

7- أقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر، فرحمة الإسلام بأهل الذمة، عدمُ إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراءُ العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة.

8ـ وردت كلمة الذمة في اللغة العربية للدلالة على معان عدّة، أهمها ـ مما له علاقة بموضوع بحثنا ـ العهد والكفالة، والأمان، والحق والحَرْمة التي يُذَمُّ مُضَيِّعُها.

9- أهل الذمة اصطلاحا هم: الكتابيون ـ ومن جرى مجراهم ـ الذين رضوا بجريان أحكام الملة عليهم، فبذلوا الجزية، والتزموا بأحكام أهل الذمة في دار الإسلام.

10- المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة جلية، إذ **تعهدت** الدولة الإسلامية و**تكفلت** بحماية الذمي، وعدم التعرض له في نفسه وأهله وماله بأذى، وأعطته **الأمان** على ذلك، فأصبح الذمي ذا **حق وحرمة**، مقابل بذله للجزية، والتزامه لأحكام وقوانين الشريعة الإسلامية.

11- وصّى النبيّ ﷺ بأهل الذمة خيراً، وحذّر من إيذائهم، وحرّم قتلهم بغير حق، وتوعّد من ظلمهم أو انتقصهم وكلفهم فوق طاقتهم، وحرّم دخول منازلهم بغير إذن، بل ذهب بعض الفقهاء إلى أن ظلم الذمي أشد إثماً من ظلم المسلم.

12- منع الفقهاء تعذيب أهل الذمة إن امتنعوا من أداء الجزية، أو تأخروا عن ذلك استناداً على سنة النبيّ ﷺ.

13- يجب على الأئمة والخطباء الاقتداء برسول اللّٰه ﷺ في حسن معاملته لأهل الذمة، وأن يبصّروا الناس بذلك.

14- كان حسن تعامله ﷺ مع الناس سببًا لدخول كثير منهم في الإسلام، وفي هذا درس للدعاة إلى اللّٰه.

15- الاستهداء بهدي النبيّ ﷺ، والاسترشاد بسنته وسيرته،

يساعد الأمة الإسلامية على التخلص من جميع مشاكل الأقليات التي تعاني منها، إذ قلما تجد بلداً مسلماً بعيداً عن التوترات والفتن، بسبب سوء معاملة الأقليات العرقية، أو المذهبية، أو الدينية، مما يزعزع الاستقرار فيها، ويهدد الأمن، ويفتح الباب للتدخلات الخارجية.

وختاماً أسأل اللّٰه تعالى القبول والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين.

الهوامش:

(1) سورة آل عمران، الآية (102).

(2) سورة النساء، الآية (1).

(3) سورة الأحزاب، الآيتان (70و71).

(4) ينظر: مقاييس اللغة (1/565).

(5) ينظر: تهذيب اللغة(2/1742)، ومقاييس اللغة (1/565)، ولسان العرب (12/290).

(6) سورة الحشر، الآية (23).

(7) سورة يونس، الآية (25).

(8) ينظر: تهذيب اللغة (2/1742)، ولسان العرب(12/291).

(9) الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرّي بن سهل الزجّاج، عالم بالنحو، واللغة، وكان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب،ولد في بغداد عام (241 هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعلمه المبرّد، وطلب عبيد اللّه بن سليمان ـوزير المعتضد العباسيـ مؤدّبا لابنه القاسم، فدلّه المبرّد على الزجّاج، فطلبه الوزير، فأدّب له ابنه إلى أن ولّي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتّابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، وكانت للزجّاج مناقشات مع ثعلب وغيره، وتوفي في بغداد عام (311 هـ)، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، وغيرها. ينظر: تاريخ بغداد(6/89ـ93)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (1/130ـ151)، والأعلام (1/40).

(10) لسان العرب (12/291).

(11) ينظر: تهذيب اللغة (2/1742)، والصحاح (5/297).

(12) الأزهري: هو أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أحد الأئمة في اللغة، والأدب،ولد في هراة بخراسان عام (282 هـ) نسبته إلى جده الأزهر عني بالفقه، فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، وقصد القبائل، وتوسّع في أخبارهم، ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن ((يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن)) كما قال في

مقدمة كتابه ((تهذيب اللغة))، وتوفي بهراة عام (370 هـ) من كتبه: غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، وتفسير القرآن، وتهذيب اللغة. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي(17/164-167)، ووفيات الأعيان(4/334-336)، والأعلام (5/311).

(13) تهذيب اللغة (2/1742).

(14) ينظر: تهذيب اللغة (2/1742)، والصحاح (5/297).

(15) ينظر: مقاييس اللغة (1/565).

(16) سورة الزمر، الآية (54).

(17) ينظر: بصائر ذوي التمييز (3/254).

(18) رواه أحمد في المسند(14/499) برقم (8931) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ .

(19) سورة طه، الآية (47).

(20) ينظر: لسان العرب (12/291).

(21) ينظر: تهذيب اللغة (2/1742)، ولسان العرب (12/289-290).

(22) ينظر: لسان العرب (12/289).

(23) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن (251).

(24) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة (155).

(25) سورة آل عمران، الآية (19).

(26) سورة آل عمران، الآية (85).

(27) سورة المائدة، الآية (3).

(28) سورة الصف، الآية (7).

(29) سورة الأنعام، الآية (125).

(30) سورة الزمر، الآية (22).

(31) سورة الحجرات، الآية (17).

(32) سورة التوبة، الآية (74).

(33) أحمد أمين: أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته إلى

(الطباخ). مولده في القاهرة عام(1295هـ ـ 1878م) ووفاته عام (1373هـ ـ 1954م) بالقاهرة أيضاً.قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة 1921م وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية.وانتخب عميدا لها (سنة 1939م) وعين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة 1947م) واستمر إلى أن توفي،وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومنحته جامعة القاهرة (سنة 1948م) لقب (دكتور) فخري. وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفا وإفاضة. ومن أعماله إشرافه على (لجنة التأليف والترجمة والنشر) مدة ثلاثين سنة. وكان رئيسا لها. ومن تآليفه المطبوعات: (فجر الإسلام)، و (ضحى الإسلام)، و (ظهر الإسلام)، و (يوم الإسلام)، و غيرها. ينظر: الأعلام(1/101)، ومعجم المؤلفين (1/168).

(34) سورة الفرقان، الآية 63).

(35) رواه مسلم (1172) برقم (2770) من حديث عائشة رضي اللّٰه عنها.

(36) رواه مسلم (740) برقم (1661) من حديث أبي ذرّ .

(37) صدر بيت للنابغة الذبياني كما في لسان العرب(11/129)، لكن بلفظ (دعاك) بدلاً من وقاك.

(38) عمرو بن كلثوم: هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب،: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتجول فيها وفي الشام والعراق نجد. وكان من أعز الناس نفسا، وهو من الفتاك الشجعان. ساد قومه (تغلب) وهو فتى، وعمر طويلا. وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. أشهر شعره معلقته التي مطلعها ((ألا هبي بصحنك فأصبحينا)) يقال: إنها كانت في نحو ألف بيت، وإنما بقي منها ما حفظه الرواة، وفيها من الفخر والحماسة العجب.مات في الجزيرة الفراتية نحو عام (40) قبل الهجرة (نحو 584 م). ينظر: الأعلام (5/84).

(39) الطبري: هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد في آمل طبرستان عام (224 هـ)، واستوطن بغداد، وتوفي بها عام (310 هـ)،

وعرض عليه القضاء، فامتنع، والمظالم، فأبى، قال الذهبي: ((وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف، قلّ أن ترى العيون مثله)). له: أخبار الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، واختلاف الفقهاء، وغير ذلك. ينظر: الأعلام (6/69)، وتاريخ بغداد(2/162-169)، وسير أعلام النبلاء (14/267-282).

(40) سورة الزمر، الآية (54).

(41) سورة آل عمران، الآية (20).

(42) سورة آل عمران، الآية (83).

(43) سورة الروم، الآية (30).

(44) سورة النمل، الآية (29-31).

(45) سورة البقرة، الآية (132).

(46) سورة يوسف، الآية (101).

(47) سورة آل عمران، الآية (52).

(48) سورة المائدة، الآية (3).

(49) سورة آل عمران، الآية (85).

(50) فجر الإسلام (69-71).

(51) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (4/259).

(52) سورة النساء، الآية (90).

(53) سورة النساء، الآية (94).

(54) سورة الأنفال، الآية (61).

(55) سورة المائدة، الآية (15-16).

(56) سورة الفرقان، الآية (63).

(57) سورة القصص، الآية (55).

(58) سورة الأنعام، الآية (54).

(59) سورة الزمر، الآية (22).

(60) سورة النور، الآية (61).

(61) سورة الأحزاب، الآية (44).

(62) سورة يونس، الآية (10).

(63) سورة الأنعام، الآية (127).

(64) سورة يونس، الآية (25).

(65) سورة النحل، الآية (32).

(66) سورة الزمر، الآية (73).

(67) سورة مريم، الآية (62).

(68) ينظر: مقاييس اللغة(2/346)، والنهاية في غريب الحديث (2/168)، ولسان العرب (12/221)، والقاموس المحيط (4/162)، وتاج العروس (32/206).

(69) سورة التوبة، من الآية (10).

(70) ينظر: لسان العرب (12/221).

(71) رواه مسلم(88) برقم (123).

(72) ينظر: النهاية في غريب الحديث (2/168)، ولسان العرب (12/221)، وتاج العروس (32/206).

(73) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (42/505).

(74) ينظر: النهاية في غريب الحديث (2/169)، ولسان العرب (12/221)، وتاج العروس (32/207).

(75) الجرجاني: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني، الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف عالم، حكيم، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بجرجان عام (740هـ)، وتوفي بشيراز عام (816هـ)، وقيل: (814هـ)، وقيل: (838هـ)، ولم يبلغ الأربعين. من تصانيفه الكثيرة: حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول، وشرح التذكرة النصيرية في الهيئة، وحاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي، وحاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان. ينظر: معجم المؤلفين (7 / 216).

(76) التعريفات(91).

(77) ابن فارس: هو أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي، من أئمة اللغة، والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني، والصاحب بن عباد، وغيرهما من أعيان البيان، والأدب، أصله من قزوين، ولد عام (329هـ) وأقام مدّة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ، فتوفي فيها عام (395هـ) من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبيّ، وغيرها. ينظر: يتيمة الدهر(3/ 463-470)، وسير أعلام النبلاء (17/ 103-106)، والأعلام (1/ 193).

(78) ينظر: مقاييس اللغة 2/ 346).

(79) رواه أبو داود (3/ 183) برقم (2751).

(80) ينظر: مقاييس اللغة (2/346)، والنهاية في غريب الحديث (2/168)، ولسان العرب (12/221-222).

(81) رواه الحاكم في المستدرك (2/126) برقم(2484) من حديث أبي هريرة t.

(82)ينظر: النهاية في غريب الحديث(2/168) لسان العرب(12/221)، وتاج العروس(32/206).

(83) رواه البيهقي في السنن الكبرى (7/464) برقم(16095).

(84) ينظر: النهاية في غريب الحديث(2/169)، ولسان العرب(12/220)، وتاج العروس(32/208).

(85) هو ذو الرمة ، كما في لسان العرب (12/221).

(86) ينظر: لسان العرب (12/221).

(87) هو الأخطل، كما في لسان العرب (12/221)، وتاج العروس (32/208).

(88) ينظر: لسان العرب (12/221).

(89) ينظر: المصدر السابق (12/221).

(90) ينظر: المصدر السابق (12/222).

(91) ينظر: النهاية في غريب الحديث(2/168)، ولسان العرب (12/221)، وتاج العروس (32/208).

(92) معجم لغة الفقهاء (76).

(93) الروض المربع للبهوتي (242)، وكشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر

المختصرات (1/351).

(94) الجزية: هي الوظيفة المأخوذة من الكافر، لإقامته بدار الإسلام في كل عام. المغني لابن قدامة المقدسي (10 / 567).

(95) رواه البخاري (1222) برقم (6914)، والنسائي (8/394)، واللفظ له، ولفظ البخاري: ((مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)). وإنما أثبت لفظ النسائي في المتن لمطابقته عنوان البحث.

(96) المغني لابن قدامة المقدسي (10 / 577).

(97) سورة التوبة، الآية (29).

(98) رواه مسلم (778) برقم (1731)، من حديث بريدة.

(99) دِنْيَةً: لاصقي النسب. ينظر: عون المعبود (8/234).

(100) انْتَقَصَهُ: نسب إليه النُّقْصَانَ. ينظر: لسان العرب (7/101)

(101) كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ: أي في أداء الجزية أو الخراج بأن أخذ ممن لا يجب عليه الجزية أو أخذ ممن يجب عليه أكثر مما يطيق. ينظر: عون المعبود (8/234).

(102) حَجِيجُهُ: أي مُحَاجِجُه، ومُغالِبُه بإظْهار الحَجَّة عليه، والحَجّةَ: الدليل والبُرهانُ. ينظر: النهاية في غريب الحديث (1/341)

(103) رواه أبوداود(3/437)، برقم(3052).

(104) سورة البقرة، جزء من الآية(190).

(105) سورة البقرة، جزء من الآية(193).

(106) أحكام الذميين والمستأمنين(87ـ88).

(107) المغني لابن قدامة المقدسي(10/623).

(108) حاشية ابن عابدين(4 / 351).

(109) الأنْبَاط: قال النووي: هُمْ فَلاحُو الْعَجَم. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (8/217).

(110) رواه مسلم (1112) برقم (2613).

(111) سورة المائدة، الآية (8).

(112) مارداً: المارِدُ من الرجالِ: العاتي الشديدُ. ينظر: النهاية في غريب الحديث (

.(4/315

(113) رواه أبوداود (3/436) برقم (3050).

(114) باحث معاصر.

(115) سورة النور، الآيتان (27و28).

(116) أحكام الذميين والمستأمنين (94).

(117) تقدم تخريج الحديث.

التعايش السلمي
من منظور مسيحي

الأب شليمون إيشو
كنيسة المشرق الآشورية- دهوك

مقدّمة

لقد أدت الحربان العالميتان الأولى والثانية إلى تداعيات ونتائج كارثية على المجتمعات الإنسانية, دولاً وأنظمة وعقائد فكرية وعلاقات اجتماعية, مما هزّ الشعور الإنساني الخيّر وزادت مخاوفه من تكرار الكارثة الكونية وخاصة في ظل التطور التكنولوجي للمنظومات الحربية التي باتت تشكل مصدر قلق دائمي للإنسان, وكما هو معروف فإن العالم بعد الحرب الكونية

الثانية انقسم إلى معسكرين كبيرين, المعسكر الشرقي بقيادة الإتحاد السوفيتي (السابق) والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية, ومن هنا برزت الحاجة إلى الدعوة العالمية للتعايش السلمي بين الأنظمة المختلفة, وعُقدت مؤتمرات كثيرة بين الدول الكبرى لوضع ضوابط للتعامل مع المشاكل السياسية والاقتصادية بين الدول بحيث يكون الحل بطريقة سليمة وعدم اللجوء إلى القوة لتجنيب المجتمع الإنساني كوارث إضافية.

وكان مفهوم التعايش السلمي يرمي إلى:

- إزالة سوء التفاهم بين المعسكرين الشرقي والغربي وإيجاد نوع من التعاون بينهما.
- عدم تعصب كل من المعسكرين لأيديولوجية معينة وقبوله باختلاف الأنظمة وإحلال مفهوم التفاهم محل الصراع.

وهذا يعني القبول بفكرة تعدد الأنظمة في جميع الدول واحترام كل نظام لمعتقدات ومصالح الآخر وإحلال التعاون في جميع الميادين محل الصراع واستعمال القوة. وحلّ جميع المنازعات والخلافات بالطرق السلمية.

لا شكّ أنّ دوافع المجتمع الإنساني في البحث عن سبل تجنيب العالم كوارث كونية هي نتيجة التطور الهائل لوسائل الدمار الشامل وعدم إمكانية سيطرة طرف معيّن على العالم, كما أنّ تطوّر الفكر الإنساني أدّى إلى ظهور مفكرين وقادة إنسانيين

معتدلين يؤمنون باحترام الإنسان باعتباره أعلى قيمة في الحياة, وضغط الرأي العام العالمي على المعسكرين الذي أدّى إلى ظهور حركة عدم الانحياز وخاصة في العالم الثالث.

وحيث أنّ سلوك الإنسان تحرّكه دوافعه ونوازعه الداخلية, وأفكاره ومعتقداته هي الأرضية التي يستند عليه سلوكه وتعامله مع الآخر, ولما كان مفهوم التعايش السلمي يوحي بالإجراءات السياسية أكثر من التعايش الحياتي, لذا نرى أنّ المصطلح قاصر عن استيعاب التعايش الذي نرنو إليه, ومن الأفضل أن نقول التعايش الإنساني أو التعايش الحياتي أو الأخوي بين البشر, بالاستناد إلى بديهية أنّ الفرد لا يعيش لوحده في هذا العالم ولا بدّ من وجود الآخر الذي هو صورة أخرى له مساوية في كل القيم الوجودية ولكن مختلف عنه في التفكير والشعور, وهذا الاختلاف إن نظرنا إليه على أنّه اغناء للوجود الاجتماعي, عند ذلك تزول عقدة الخوف من الآخر المختلف. لذا علينا أن نشيع ثقافة قبول الآخر المختلف.

لم يخلق اللّهَ الإنسانَ صنماً بدون تفكير وشعور, لقد وهبه العقل المفكر والشعور, وليست إرادة الخالق أن يعيش الإنسان لمفرده في هذا العالم, بل هذا مستحيل وضدّ الطبيعة التي جبله الخالق عليها, تقول الآية القرآنية:

وَجَعَلنَاكَمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: الآية 13)

وواضح جداً أنّ غاية الخلق هي التعايش وفق أسس المحبة والرحمة والتي تتطلب القبول بالآخر.

المسيحية والتعايش الإنساني

بداية أودّ أن أكد هنا أنّ هناك فرق بين تعاليم المسيح ووصاياه لتلاميذه وأقوال الرسل الأولين وبين تطبيق هذه التعاليم والوصايا على مرّ العصور وفي الوقت الحاضر من قبل المؤمنين بالمسيح.

فليس كلّ من قال: ربّي ربّي، هو تلميذ حقيقي له، فضعيف هو الإنسان مهما كانت قوة إيمانه بالمبادئ، وقد يحيد عن الصواب أحياناً، وليس هناك ضرر عندما يخطأ الإنسان عن جهلٍ، بل الخطأ الفادح هو خطأ الإنسان عن سابق علمه بخطئه. والمسيحية في التطبيق لم تكن دائماً منزّهة ولا هي كذلك حالياً، فهناك دائماً الجاهل وهناك دائماً الشرّير اللابس ثوب الإيمان لمصلحة شخصية، وفي النظم الإدارية للمسيحية، وأقصد المؤسسات الكنسية، حدثت وتحدث تجاوزات على المبادئ الإيمانية ولا يمكن أن ننكر هذا. نتذكّر الجدالات اللاهوتية والخلافات العقائدية والتي هي من ضعفات البشر، وكيف أدّت هذه الجدالات والخلافات إلى الفرقة والكراهية والإقصاء وشقّ البيت الواحد وفرقة الإخوان، بل أدّت إلى التحريم وحتّى القتل، والعصور

الوسطى في أوروبا المسيحية كانت مظلمة، وكان الظلام يجول حتى في زوايا الكنائس. ونرى الآن أشخاصاً محسوبين على الإيمان المسيحي أو يحسبون أنفسهم مسيحيون، يأتون أعمالاً هي بالضدّ من المسيح وتعاليمه، ومنها التعرّض بالإساءة إلى إيمان وعقائد غير المسيحيين. لقد جئ بالزانية إلى المسيح وهي في عرف اليهودية وناموسها مستحقة الرجم بالحجارة، فصفح عنها، وأوصاها أن لا تعود إلى جهالتها ثانية.

لم يفه المسيح بقول أو أمرٍ يُفهم منه جواز إيذاء الآخر لا قولاً ولا فعلاً، أيّاً كان هذا الآخر. أهناك محبّة أسمى من محبّة الأعداء. لقد قال المسيح:

أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ (متي: 5: 43- 45)

كما أنّ المسيح, وهو المعلم, لم يتردّد لحظة من التعامل مع غير اليهود, فقد دخل بيت القائد الروماني وأقام ابنته من الموت. كما أجاب المرأة الكنعانية الوثنية طلبها وشفى ابنتها. فمن أين جاء هؤلاء الدجّالون بهذه التعاليم التي تنبع من الحقد والكراهية للآخر.

ليس في المسيحية محاباة عندما يتعلق الأمر بالمحبّة، فهو قانون الربّ الأسمى بل كيان الربّ نفح منه في الإنسان ليتمثل الإنسان بخالقه في تصرّفه مع أخيه الإنسان.

فالمحبة والرحمة اللتان هما صفة الخالق وقد أودعهما في الإنسان ليزرعهما حواليه بين أبناء جلدته لتحفظانه من أخطار ضعفات الجسد في التكبّر والتسلط والظلم وتسمو به روحياً وتُسعد حياته المادية، وليعيش في مجتمعات متحابّة تتبادل المنافع باحترام ووفق قوانين وأنظمة وضعية مبنية على هاتين الصفتين اللتين وهبهما الخالق للإنسان.

فالتعايش الأخوي الإنساني بين بني البشر يتطلب أسساً راسخة وقيماً عظيمة تسمو على الصغائر من المصالح الشخصية وتجعل الروابط بين المنفعة الشخصية والمنفعة الجماعية متبادلة ومتساوية، ولن نجد مبادئ راسخة وقويمة وقوية تستطيع استيعاب كل هذا، ولا قانون يُنظم حياة البشر مثل مبادئ وقانون السماء، فليس لمبادئ السماء مصلحة غير مصلحة البشر، فالخالق بفيض محبته غير المتناهية خلق آدم وحواء على صورته، فليس لخلق الإنسان مصلحة للخالق، إذ انّ الخالق كامل في كل شئ ولا يحتاج قطّ إلى مخلوقه، فالإنسان محتاج دائماً لأن يكون على صورة خالقه في تصرفه مع أخيه الإنسان، وضابط هذه العلاقة ليس إلا قانون الخالق العظيم الذي هو من جوهر

الكيان الإلهي، أعني: المحبّة، فهو قانون يهدف إلى صون البشرية جمعاء وفق ضوابط عمل الخير والعمل الصالح والرحمة. فالعاقل لا يأتي قولاً أو عملاً يُضرّ بمن يُحب، ولقد أكّد المسيح في أقواله وأعماله على المحبّة، بل أنّ جُلّ وصاياه وتعاليمه تدور حول المحبة، محبّة الإنسان لأخيه الإنسان، محبّة مجانية لا تبغي منفعة شخصية، لقد أوصى المسيح تلامذته قائلاً:

أَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ ـ (متي: 19: 19)

ويُفهم من المثل المقرون بهذا القول أنّ المقصود بالقريب هو المتعايش معك وليس الذي تصلك به صلة دم.

لقد خلقنا اللّٰه تعالى، وجعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف، كما جاء في القرآن الكريم، ونتعايش وفق قيم تحترم الإنسان، وبموجب ضوابط تكفل لكل فرد حقه في العيش بسلام واستقرار. وما أحوج العالم اليوم إلى تدارس تلك القيم والضوابط والأخذ بها حتى يتفرغ الإنسان لأداء رسالته التي خُلق من أجلها وهي عبادة اللّٰه سبحانه وتعالى, كلّ بالطريقة التي يؤمن بها, وتسخير قوّات الأرض لحياته بكل خير وصلاح.

إنّ الناس في في كلّ العصور والأزمنة والأمكنة في أمسّ الحاجة إلى بث ثقافة المحبّة والرحمة الإلهية، فهاتان الخصلتان

لو وجدتا في قلوب الناس لكان من السهل جداً عليهم تحقيق التعايش الإنساني أو السلمي فيما بينهم، نظماً سياسية ودولاً وأديان وطوائف وعقائد فكرية مختلفة. والخالق قد وهب البشر نعمة العقل ليتدبّر أمور حياته فرداً وجماعة وفق إرادته التي تصدر دائماً عن المحبّة اللامتناهية.

يقول الرسول بولص:

فَلنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ - (رومية: 14: 19)

إذاً فإنّ محبّة الآخر هي الأساس في قبوله والتحاور معه وفهمه والتعامل معه لما هو خير لمصلحة الوجود الاجتماعي للإنسان, فلا يمكن, في المسيحية, قبول فكرة إلغاء الآخر أو التعامل معه بانتقاص من قيمته كإنسان, بل أنّ المسيحية تؤكّد على ترابط معرفة الخالق باحترام المخلوق. يقول الرسول يوحنا:

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللّٰهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللّٰهِ وَيَعْرِفُ اللّٰهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللّٰهَ، لأَنَّ اللّٰهَ مَحَبَّةٌ - (يوحنا(1): 4: 7)

كثيرة هي الشواهد من أقوال المسيح والرسل وتعاليم الآباء التي تتكلم عن جوهر الإيمان المسيحي والذي هو المحبّة للآخر, بل

إن الإيمان المسيحي هو المحبّة ذاتها. والمحبّة لا تبغي إلا ذاتها, فهي مجانية لأننا قبلناها هبة مجانية من الخالق وعلينا إعطاءها بالمجان. ومن هنا كان مبدأ التضحية لأجل الخير والصلاح.

المسيحية لا تؤمن بنجاسة البشر من أيّ دين كانوا أو مذهب, وهي تتعامل مع كل البشر شرط الحفاظ على مبدأ صون كرامة الإنسان. فالحلال في المسيحية هي المحبة والرحمة لكل البشر والحرام هو كلّ ما ينتقص من قيمة الإنسان وكرامته قولاً أو فعلاً.

عندما فتح العرب المسلمون بلاد السريان وطردوا الروم والفرس, لم يهرب السريان المسيحيون أمام العرب المسلمون, بل تعاملوا معهم وساعدوهم في بناء الدولة العربية الإسلامية وسخّروا معارفهم الفلسفية والعلمية لبناء الدولة والمجتمع الجديد ومارسوا إيمانهم وطقوسهم في ظلّ الدولة العربية الإسلامية, وكان منهم رجال علم ودولة في دواوين الدولة ومجالس الخلفاء. لقد كانت نظرتهم وتعاملهم مع الواقع الجديد مستندة إلى قانون المحبّة الإنسانية التي علمها لهم معلمهم الإلهي يسوع المسيح.

والمسيحية الحقّة هي بغضّ النظر عمّا يشوب سلوك البعض من المسيحيين من زلل لا يستقيم مع الإيمان القويم وهم بحاجة أكثر ليتعلموا الإيمان الحقّ المؤسّس على المحبة والرحمة.

خلاصة القول إنّ مبادئ المسيحية تستند على المحبّة والرحمة المجانية التي تلقيناهما هبة من الخالق وعلينا منحها مجاناً للآخر من بني جنسنا بغضّ النظر عن لونه ومعتقده ودينه, وذلك لتحقيق إرادة الخالق في أنّ محبّته وإكرامه هي من محبّة الإنسان وإكرامه, وهو القانون الأسمى التي تستند عليه الحياة الإنسان ككائن اجتماعي. فلا سلام ولا حياة كريمة للإنسان مع الحقد والكراهية والبغضاء, وفارغ هو قول محبّة اللّٰه وباطلة هي عبادته مع الحقد والكراهية والبغضاء للآخر، أيّاً كان هذا الآخر. وحتّى الشرّير علينا تقويمه بالتي هي أحسن ليعود إلى الخير والصلاح لنفسه أوّلاً وللآخرين ثانياً.

إنّ العنف ليس من صفات الخالق, فلو أراد استعمال العنف مع البشر لجعلهم بالقوة التي يعرف ديناً واحداً ومذهباً واحداً وفكراً واحداً, إنّ التنوع الذي ارتضاه الخالق لنا هو أمر عجيب وعصيّ على الفهم للذي لا يفهم المحبّة. ولكن الأمر سهل على الفهم للذي يعيش المحبّة فكراً وسلوكاً, لأنه يعيش مع اللّٰه.

فلنتعلم محبّة الآخر المختلف ولنعشها بكلّ فكرنا وجوارحنا لنكون قريبين من نبعها الأزلي. اللّٰه جلّ جلاله.

ولتغمرنا كلنا المحبّة الإلهية لنستطيع أن نعيش مع البعض خليقة تُكرم خالقها وتقتدي به من أجل حياة إنسانية سعيدة وكريمة.

الديانة الايزيدية
والتسامح

د.سعيد خديدة علو
مدرس التاريخ الحديث - جامعة دهوك

عن الايزيدية

الديانة الايزيدية هي واحدة من أديان الشعب الكوردي القديمة قبل ظهور الأديان السماوية، وهي من إحدى أكثر الديانات القديمة في العالم جدلاً، حيث كانت وما تزال ضحية الكتّاب المغرضين وأهوائهم ومصالحهم الطائفية التعصبية الضيقة، الذين كتبوا عنها بأشكال مختلفة.

فما من دين تجنى عليه التاريخ وجهله الناس واختلفوا في نشأته وظهوره وحركة تطوره التاريخي ومعرفة أصله كالديانة

الايزيدية. يبدو ان الاختلاف في تسمية الايزيدية وفلسفتها جاء إما عن قصد أو نتيجة عدم تمكن بعض الكتاب من الاطلاع على النصوص المقدسة للديانة الايزيدية خاصة انه هناك تشابها في بعض المسائل ما بين الايزيدية والزرادشتية والمثرائية أو أن ذلك التشابه بين الايزيدية والديانات الأخرى قد قادهم إلى تلك الآراء.

في الواقع إن أية دراسة أو بحث عن الايزيدية ستكون ناقصة ومبتورة إذا لم تعتمد على النصوص الدينية الايزيدية باعتبارها مادة غنية لا يمكن الاستغناء عنها عند الكتابة عن الايزيدية. إذ تتبين في تلك النصوص نظرة الايزيدية إلى الخالق والتكوين والخير والشر...الخ، كما يجب معرفة جذور الأعياد والمناسبات الدينية الايزيدية حيث أن جذور بعضها موغلة في القدم، وذلك لأن الدراسة والتعمق في تلك النصوص الدينية ومعرفة جذور بعض أعياد الايزيدية يُظهر بوضوح عدم صحة الآراء الملفقة حول تسمية الايزيدية، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك نص ديني باسم (قةولىَ هةزار وئيَك ناظة. أي قول ألف اسم واسم). يظهر فيه بشكل واضح وجلي اسم (ئيزي) وهو اسم من أسماء اللّٰه الحسنى. وهذا مقطع من ذلك النص الديني:

سلتان ئيّزى ب خوّپادشايه

هەزار وئيّک ناڤل خوّدانايه

ناڤێ مەزن هەر خودایە (1).

وترجمتها:

السلطان (ئيزي) نفسه هو اللّٰه

أعطى لنفسه ألف اسم واسم

والاسم الأعظم هو اللّٰه أما كلمة (ئيَزي) فإنها تقال لتلك الجماعات أو ذلك القوم الذي يؤمن بـ (ئيَزي). وقد اكتشف احد علماء الآثار واللغات القديمة (السومرية والبابلية والأشورية) بان كلمة إيزيدي تعني الروح الخيرة كما تعني غير المتلوثين الذين يسيرون على الطريق الصحيح (2).

هنا يقول د. خليل جندي :(يلاحظ عند الايزيدية تعدد الآلهة poltheism وترتبط جذور هذه الظاهرة باعتقادنا بالمراحل الأولى من تاريخ البشرية البدائي عندما كانت الأفكار الغيبية البسيطة تسيطر على أفكار المجموعات البشرية). وهذا بلا شك دليل على قدم وعراقة هذه الديانة.

يظهر مما سبق بان الديانة الايزيدية من الديانات الكوردية القديمة ترتكز أسسها على الإيمان الصادق والقلب الصافي. وهي ليست ديانة تبشيرية توسعية بمعنى يولد الايزيدي من أب وأم ايزيديين ولا تقبل في صفوفها من كان على دين آخر(3). والايزيدية ديانة توحيدية، أي تؤمن باللّٰه الواحد الذي لا شريك له، ويظهر ذلك واضحاً في نصوصها الدينية المقدسة فعلى سبيل

المثال عندما يشهد الايزيدي يقول:
شه هدا دێنی من ئێک ئه للا (4)
طاووس مەلەک حه ق حەبیب ئەللا

وترجمتها:
اشهد ان اللّٰه هو الواحد الأحد
وطاووس الملائكة حقاً حبيب اللّٰه

من هنا جاءت رؤية الايزيدية وفلسفتها ونظرتها الخاصة بها لمسألة التكوين، والخير والشر. إذ تؤمن الايزيدية بتناسخ الأرواح أي أن الأرواح بعد موت صاحبها تنتقل إلى أجسام أخرى مرات عديدة وقد تظهر بصفات أخرى في الآخرة والقيامة.

كما للايزيدية نظرة إلى الأديان السماوية والرسل والأنبياء نظرة احترام وتقدير.

أما ما يميز تراث وميثولوجيا الايزيدية فهو امتلاكها لمجموعة من الأعياد تختلف مراسيم الواحدة منها عن الأخرى، فمثلاً هناك بعض الأعياد تجري مراسيمها في (معبد لالش - المعبد الرئيسي للايزيدية الذي يقع إلى الشرق من دهوك بـ 45 كم في وادي جبلي يسمى بنفس الاسم). وهناك عيد أربعينية الصيف والذي يبدأ من 25 تموز ولغاية 2 آب. وعيد الجماعية الذي تبدأ مراسيمه من

7 لغاية 13 تشرين الأول، وعيد القربان الذي يقع في اليوم الأول من عيد الأضحى عند المسلمين، وعيد أربعينية الشتاء الذي يقع في اليوم الأخير من أربعينية الشتاء (تبدأ أيام الأربعينية اعتبارا من 25 كانون أول وتنتهي في الثاني من شباط). أما الأعياد التي لا تجري مراسيمها في معبد لالش، فهي:

عيد صوم ايزيد يقع هذا العيد في أول يوم جمعة من شهر كانون الأول الشرقي والذي يسبق التقويم الميلادي بأربعة عشرة يوما. عيد بيلند الذي يصادف الجمعة الثانية من أربعينية الشتاء، وعيد رأس السنة الذي يصادف يوم الأربعاء الأول من شهر نيسان الشرقي.

وللايزيدية مجموعة من المناسبات أو كما يطلق عليها شعبيا بـ (طواف - او ئوغلةم) التي تقع اغلبها في شهر نيسان ولهذه الطوافات أهمية كبيرة في تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الايزيدية ونشر قيم التسامح في المجتمع بصورة عامة. لكل منطقة ايزيدية أحيانا نرى مجموعة مناسبات تبدأ بالرقصات الشعبية وتقديم الطعام للناس الذين قصدوا تلك المنطقة بهدف المشاركة في الأفراح وزيارة أقربائهم أو معارفهم. وفي نظرنا ان كل ذلك يؤدي إلى تعزيز أواصر الصداقة والعلاقات بين أفراد المناطق المختلفة ليس فقط من الايزيديين وإنما أيضا من أتباع الديانات الأخرى الذين يقصدون المنطقة.

وفي سبيل التعرف أكثر على الايزيدية لابد من معرفة بعض المحرمات في هذه الديانة ومنها على سبيل المثال، القتل والزنا والكذب والخداع والبصق في وجه الإنسان والبصق على النار...الخ. أما ما يخص أخلاق الايزيدية، يقول الأب "انستاس الكرملي البغدادي "إن الايزيدية يمتازون بالصدق في كلامهم والقيام بعهودهم"(5) .

وفيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للايزيدية، فإنهم موزعين في مناطق عدة من دول العالم (العراق، تركيا، سوريا، أرمينيا، جورجيا وجالية كبيرة في ألمانيا) ويتمركز وجودهم بصورة خاصة في كوردستان حيث يوجد معبدهم المقدس لالش.

مفهوم التسامح

جاء في لسان العرب: سمح.السماح. السماحة.المسامحة، والتَّسميح، وتعني لغة الجود، وأسمح إذ جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسمح وتسامح وافقني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة. وجاء في مختار الصحاح سمح ـ السّماح، والسّماحة الجود (سمَح) به يسمح بالفتح فيهما سمَاَحا سَماحة أي جاد. سمح له أي أعطاه. وسمُح من باب ظَرُف صار سمحا بسكون الميم، وقوم سُمَحاء، بوزن فَقهاء، وامرأة سَمِحة، ونسوة سِمَاح، والمَسَامحة المَسَاهلة، وتسامحوا تَسَاهَلوا.

جاء في قاموس "اللاروس" الفرنسي، أن التسامح (Tolérance) يعني احترام حرية الآخر، وطرق تفكيره وسلوكه، وآرائه السياسية، والدينية. وجاء في قاموس العلوم الاجتماعية أن مفهوم (Tolérance)يعني قبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف، وهو يتعارض مع مفهوم التسلط والقهر والعنف، ويعد هذا المفهوم أحد أهم سمات المجتمع الديمقراطي. لقد ترجمت لفظة (Tolérance) الى العربية بـ"التسامح" ومع ذلك فإن مفهوم "تسامح" هو: وليد حركة الإصلاح الديني الأوروبي، وقد نشأ عن تغير في الذهنية ناتج عن علاقة جديدة، هي علاقة الاعتراف المتبادل بين القوى التي استمرت تتصارع طوال القرن السادس عشر، أي خلال الحروب الدينية الأوروبية (6) ، عندما حدث انشقاق داخل الدين الواحد، ثم وقع تجاوزه عن طريق الاعتراف بالحق في الاختلاف في الاعتقاد، ثم في حرية التفكير بوجه عام. فحركة الإصلاح الديني في أوروبا ارتبطت أساسا بصراعات داخلية بين قوى اجتماعية معينة. صحيح أن حركة الإصلاح هذه أوقدت نزاعات، وحروبا بين دول أوروبا إلا أن النزاع كان أساسا بين قوى اجتماعية داخلية انعكس على مستوى الرمز في تباين تصورها لما هو مقدس. إذن لقد ولدت كلمة التسامح (Tolérance) في القرن السادس عشر، إبان الحروب والصراعات الدينية، التي عرفتها أوروبا بين الكاثوليك،

والبروتستانت، حيث انتهى الكاثوليك إلى التسامح مع البروتستانت، وبشكل متبادل. ثم أصبح التسامح يمارس إزاء كل المعتقدات والديانات الأخرى. وفي القرن التاسع عشر انتشر هذا المفهوم ليشمل مجال الفكر، وحرية التعبير، وليتضمن جوانب اجتماعية، وثقافية بالغة الغنى والتنوع. إن الحروب والصراعات الدينية الطويلة التي عاشتها أوروبا في ألمانيا، وهولندا، وإنكلترا، وإسبانية، وفرنسا كانت في أصل هذا التحول الذي شهده مفهوم التسامح(7) .

يقوم المفهوم المعاصر للتسامح على مبادئ حقوق الإنسان العالمية، حيث ربطت وثيقة إعلان المبادئ العالمي الصادر في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995م بين التسامح وحقوق الإنسان، والديمقراطية والسلم، وبالتالي ارتقت بالتسامح إلى صورة قيمة قانونية تتطلب الحماية من قبل المجتمع الدولي. لقد ورد في البند الأول من هذه الوثيقة، الصادرة عن اليونسكو بصدد معنى التسامح، أن مفهوم التسامح يتضمن العناصر التالية:

أولا: قبول تنوع واختلافات ثقافات عالمنا، واحترام هذا التنوع.

ثانيا: التسامح موقف يقوم على الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني، والحريات الأساسية للآخر.

ثالثا: التسامح هو مفتاح حقوق الإنسان، والتعددية

السياسية والثقافية، والديمقراطية.

رابعا: إن تطبيق التسامح يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، كما يعني بأن لا أحد يفرض آرائه على الآخرين.

إن التسامح الديني بين أتباع الأديان يعني أن يحترم أتباع كل دين الحرية الشخصية وشعائر والطقوس الدينية لأفراد الديانات الأخرى بالطريقة التي يتبعها هؤلاء وليس بالطريقة التي يفكر فيها غيرهم. فالمعنى السائد للتسامح الديني يقوم على مبدأ قبول الآخر باختلافه وتباينه. ولكن التسامح الديني في معناه العميق اليوم يرتكز إلى مبدأ فلسفي وديني طليعي، لأنه في الوقت الحاضر بات واضحاً أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة دون استثناء، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفِطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وتُحتّمه ثقافة العولمة وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة. والمهم أيضاً، أن الإشكال ليس في الأديان ذاتها وإنما هو كامن في عُقم إفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تُحصى (8).

في الحقيقة أن نشر ثقافة التسامح والتعايش وقبول الآخر

المختلف تعتبر حاجة أساسية وملحة وخاصة في ظل هذه الظروف الحساسة والحرجة التي تمر بها منطقة الشرق الأوسط المليئة بالأقليات الدينية والعرقية والقومية، والتي تعرضت في ظل الأنظمة الشمولية إلى الاضطهاد والتهجير والعنف، ولا يزال مصيرهم في خطر. هنا وبعد رياح التغيير التي اجتاحت ـ ومازالت مستمرة ـ المنطقة وبهدف عدم الحد من اللجوء إلى العنف أو اللاتسامح وبناء مجتمع مدني-حضاري متماسك يسوده الاحترام وقبول الآخر، بات من الضروري جداً زرع ثقافة فهم الآخر وقبوله وترسيخ مبادئ اللاعنف في نفوس وعقول الجيل الناشئ، لأنها تساهم بشكل فعال في خلق جيل واع قادر على تحمل أعباء المسؤولية وقيادة المرحلة القادمة بشكل ايجابي وسليم. فلا يتحقق التسامح وقبول الآخر إلا بالحوار والتواصل والمشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار، لأن إقامة حوار بنّاء، وخلق فضاء للنقد والفكر المستقل يساهم في ان يسود المجتمع حالة من الاستقرار والسلام والتعايش مهما اختلفت أعراق ومعتقدات أبنائه. لأن الحوار والتواصل دائماً وأبداً هو الطريق الصحيح لحل كافة القضايا العالقة، وهو البديل الصحيح عن فرض الرأي بالقوة، وبالحوار نحافظ على التواصل والمحبة والسلام، ونعمق معاني الديمقراطية والتعاون المشترك ولا يكفي لنجاح الحوار مجرد الدعوة إليه دون اتخاذ خطوات عملية تترجم ما اتفق عليه

من قبل الأطراف المتحاورة على أرض الواقع، وتنمية الثقة بين المتحاورين، فإذا لم يطمئن المتحاورين إلى المصداقية في إجراء الحوار، وإذا لم تستبعد العوائق والموانع فيصبح الحوار بدون غاية أو هدف، أو مجرد حوار من أجل الحوار.

إن المجتمع المتجانس ثقافياً يتمتع بقوة مميزة خاصة به، ويخلق مناخاً تشترك فيه الثقافات المختلفة لحوار مثمر يعود بالنفع على الجميع، ويساعد على إقامة حس مجتمعي تكافلي، وبذلك يسهل عملية التواصل الداخلي بين أبناءه، ويغذي ثقافة كثيفة متماسكة ويمدها بأسباب الحياة.

ولا يشمل التسامح فقط الدين وإنما هناك التسامح الفكري بمعنى احترام الأخر بآرائه وأفكاره وعدم التعصب للأفكار لان الاجتهاد والإبداع حق للجميع بغض النظر عن دينه وعرقه وجنسه، كما يشمل التسامح المجال السياسي أي ضمان الحريات السياسية فردية أو جماعية مع انتهاج المساواة والديمقراطية في تقرير المصير.

التسامح في الديانة الايزيدية

مثلما معروف ان الديانة الايزيدية ترتكز في أساسيتها على ما تمتلكه من ارث ثقافي مجتمعي، لذلك تجد فيها احترام للعائلة وتؤكد النصوص الدينية الايزيدية على التربية السليمة

للطفل باعتباره أساس المجتمع، وهناك نص ديني خاص عن احترام أفراد العائلة لبعضهم البعض باسم نص(الوالدين). ومن الأفضل أن نكون متسامحين مع بعضنا البعض. كما أن الآباء والأمهات في المجتمع الايزيدي يقومون بتربية أبنائهم وبناتهم تربية إيزيدية خالصة مبنية على الأصول والقيّم والتقاليد الايزيدية والتي تؤكد كلها على التسامح وقبول الأخر بهدف بناء مجتمع سليم لذا ليس من العجب ان ترى أبناء الأديان الأخرى يعيشون بين الايزيديين بكل آمان وراحة لأنهم مقتنعين بإنسانية الإنسان الايزيدي الذي يتمنى الخير لغيره قبل نفسه، بمعنى أن التربية الايزيدية غير متعصبة وفقاً للنصوص الدينية المقدسة ، حيث يوجد نص ديني يقول بهذا الصدد:

دەمی تو ئێکی د بینی
و خێرەکی فێرە دکەهینی
پرسیار ژێ نەکە تو ژ کیژ دینیی

وترجمتها:
عندما ترى أحدا
وتعمل معه عملا خيرا
لا تسأله عن أية ديانة أنت

ولما كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة عام 1948 يؤكد أن "لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين" (المادة 18) وفي "حرية الرأي والتعبير" (المادة 19) و "أن التربية يجب أن تهدف إلي ... تنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية" (المادة 26). لذلك تأتي أهمية غرس قيم التسامح في عقل الجيل الناشئ وذلك من التربية السليمة والتي تبدأ من الأسرة ثم وضع مناهج دراسية تغرس في عقل الطفل المحبة والصدق والإخلاص ومبادئ السلام والتسامح وإرشادهم إلى القيام بالأعمال النبيلة وحل المشاكل والخلافات بصورة ودية، وهذا يعني بأننا نبني مجتمعا على أساس التسامح والمحبة أي مجتمع متسامح لا عنفي لأن الإنسان أينما كان فهو بحاجة إلى أخيه الإنسان مع كل التباينات والعقائد. فهذه هي سنة الحياة على الأرض بمعنى أن الإنسان بحاجة ماسة إلى فضيلة التسامح ليعيش الأمن والأمان، وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا عندما نبدأ بغرس قيم قبول الأخر المختلف دينيا وعرقيا ومذهبيا من العائلة نفسها، أي نتحدث لهم عن الآخرين بشكل متميز، ونساهم في فهم ما هم عليه كما هم.

(قەولێ داى و بابا)

مەندی ژ شێخ فەخر دپرسیە
تو بهەقێ ئیلاهیە
ئەرکانا مرۆڤێ ئێزدی ب چی و چییە

****

شێخ فەخر باند کەت بسورە
ژ کەشکولێ دەرئینت دورە
ژ مەندێ خۆرە دهونە و ڤەچرە
فروار هات ذ عەزمانا
رێ و رسم و حەدوسەد بۆ مە دانە
ئێک ژ وان وەسیەتا دایک و بابانە
چل چلەی ئی برۆژی بی
وی چلەی مجادە و نڤێژ لپێ بی
فایدە ناکەت هەکە نەل تاعەتا دێ و بێ بی
هەکە دلێ دایێ خۆش نەکەی
و دلێ بابێ شاهـ نەکەی
فایدە ناکەت سەد سال عەبادەت بکەی

تؤكد الايزيدية في مفاهيمها الحياتية على نسيان ما حدث من مشاكل بين الناس والتأكيد على المحبة والإخلاص والتماسك. كما تؤكد الايزيدية على عمل الخير ومساعدة الآخرين من بني

البشر دون أن تسأله عن دينه أو الحديث بأنك قدمت مساعدة لشخص ما أو قمت بعمل خير لان ذلك ـوحسب نصوص الديانة الايزيديةـ واجب الإنسان أمام أخيه الإنسان ومن غير المحبذ التحدث عن ذلك في المجالس لان أي عمل أو فعل خّير وان رميته في النهر لا يضيع عند اللّٰه سبحانه وتعالى كما جاء في النص الديني من قول"جظات وجومللةتة":

هەكە تو ئێكی بینی
خێرەکێ ڤێرە بگەهینی
پرسیار نەکە تو ژ کی دینی

****

هەکە تە خێرەک دابی
وتە د ئاڤێ دا بەردابی
ئەو ل با خودێ هندا نابی

****

دبێژمە وە گەلی کەسا
دەمێ هوون رودنێنە جڤات ومجلسا
حەقیا خودێ نەهەڤشینن بۆ چوو کەسا

إن الديانة الايزيدية تقر وتسلم بالتباينات الموجودة في الأرض

حيث يرد في النص الديني من قول "عةرد وعةزمانة":

ب قودرەتا ئێکی ب نووره
هەر چار ناڤێت مشورا
هاتن ژ بامەلکێ خەفورا
تەورات وئەنجیل وزەبور وقورئانا
عەرد دبێژتێ عەزمانۆ ئەزم عەردێ دەرویش
سەر من دگەرێت جۆق وجملەت وجێش
کەس ب کباری ناچته پێش.

هذا النص الديني هو حديث بين الأرض والسماء، وهنا تدافع الأرض عن نفسها وتبيّن للسماء ان المخلوقات بمختلف أنواعها واجناسها يعيشون عليها، وانه بقدرة اللّٰه نزلت على الأرض الكتب المقدسة للأديان من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

مما تقدّم، يتبين أن مفهوم التسامح الديني في الايزيدية (ديانة ومجتمعا) يتمثّل في كونه يُقر الاختلاف ويقبل التنوع ويعترف بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية وفكرية، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره ورؤية مستقبله، هي سبب وجوده وسرّ بقائه وعنوان هويته ومَبعث اعتزازه.

من الواضح أن قيمة التسامح الديني تتمثّل في كونه يقتضي

التسليم المطلق - اعتقادا وسلوكاً وممارسةً - بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك أيضا وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك أيضا دين له الحَرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خُصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلأولئك خُصوصية ثقافية لا تقبل المَسّ بها بسوء أبداً. لذلك من الجَلي القول أن التسامح الديني في المجتمعات المتعددة دينيا، يُعدّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعدّدية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان ومراعاة المواثيق الوطنية واحترام سيادة القانون، خيارات إستراتيجية وقيم إنسانية لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح - إذن - عامل فاعل في بناء المجتمع المدني، ومشجّع على تفعيل قواعده.

حرام البصق في وجه أي شخص و لأي سبب كان ذلك لأن نور اللّه في وجه عبده ثم لا يجوز للأيزيدي كره أي شخص لأن المحبة ركن مهم من أركان ديانته، وحرام جدا الاستهزاء بالمعتوه أو المعوق أو الفقير، حرام الشك وعدم صفاء النية والنظر بسوء إلى الغير.

جاء في إحدى النصوص الدينية الايزيدية القديمة، التي توارثها الايزيديون جيلا بعد جيلا، ما يسمى بعلم الصدر عند الايزيدية:

نه فسی توو جەندی دکه ی گوّمانی
توو خالی نابی ژ غەدریّ و دوخانیّ
ته خیالی خوّ خلاسکه ی ژئیمانی

وتعني:
أيتها الروح كم لديك شك
أنت أيضا لست خالية من الغدر والدخان
لذلك أرضي ضميرك بالأيمان

وفي الأعياد الايزيدية هناك مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد تشدد على نشر مفهوم التسامح بين الناس مثل توزيع "الصوك" (نوع خاص من الخبز المغمس بالزيت والسمسم أحيانا) في الأعياد على أهل القرية أو الجيران ولا يشترط ان يكونوا من الايزيدية، فهذه دلالة على حب العيش مع البعض ونبذ الخلافات والتطلع إلى مستقبل مشرق خالي من المشاكل، فالايزيدية ينظرون الى الخير بتجلي واحترام كبير.

يرد في "دعاء الطعام" ما يلي:
یارەبی تو دایمی توکه ریمی توعەرشی عەزیمی
ژعه نزەلدا توی قەدیمی

هەفتی ودو ملەتی بێیی رەحمێ
سەرێ سەر بالگییا گرتیێ حەبسییا ربویی ری یا
کەسێ بە لنگاز وهیسیرا مەژی بیرا

يظهر هذا النص الديني أن على الفرد الايزيدي أن يطلب الرحمة لاثنان وسبعون قوما قبل أن يطلبها لنفسه مما يؤكد قيمة التسامح في الديانة الايزيدية، خاصة ان الديانة الايزيدية تحترم جميع الأديان السماوية دون تفرقة بين الإسلام والمسيحية واليهودية وكذا الديانات الأخرى كالبوذية. ولا تبغض الايزيدية أية عقيدة أو مذهب؛ لذلك لا تحرم الايزيدية بأن يعّرف أفرادها بأي اسم كان. وتؤكد النصوص الدينية الايزيدية والمصادر التاريخية ان الايزيديين يتحدثون بكل احترام وتقديس عن القران والإنجيل والتوراة ويعترفون بقدسية الأنبيا ء.

وثمة إشارات عدة وردت في كتب الرحالة تشير إلى أن الايزيدية يحترمون جميع الأديان ولا يكفرون بأي دين، وعلى سبيل المثال يشير "الميجر سون" إلى أن الايزيدية لا يرفضون أي كتاب من كتب العالم المقدسة لدى الأديان المختلفة، حيث يثقون بالعهد القديم (التوراة) ثقة تامة، ويعتبرون العهد الجديد (الإنجيل) والقرآن الكريم من الكتب المقدسة التي تستحق كل التبجيل. ويذكر (اينسورث) ان الايزيديين يتحدثون بكل احترام عن القرآن

والإنجيل.

وهناك (سبقة - أي جملة) من النص الديني (ثادشايى - بادشاه في الايزيدية تعني الإله الكبير) تؤكد على التسامح الديني واحترام واعتراف الديانة الايزيدية بكافة الأديان الموجودة على الأرض.

پادشێ من رەب ئەلسەمەدە
رەبێ مووسا وعيسا ومحەمەدە
هەموو ژێرا بريە سجودە

وترجمتها:
إن ربي هو رب الصمد
وهو رب عيسى وموسى ومحمد
وان جميعهم سجدوه

ورغم الاضطهاد الذي تعرض له الايزيدية على مر التاريخ، وخاصة في فترة الدولة العثمانية من قبل أتباع الأديان الأخرى في المنطقة في أرضهم وارض أجدادهم. وكل المحاولات التي هدفت إلى بذر بذور التفرقة بين أفراد الأديان الموجودة في كوردستان فشلت في اعتقادي في هذه المهمة فلا يزال أتباع كافة

الأديان الموجودة في كوردستان بصورة خاصة والعراق عامة يعيشون جنباً إلى جنب وهناك احترام متبادل بينهم.

عودة ثانية إلى التسامح وما يمتلكه الفرد الايزيدي بهذا الخصوص من احترام لأتباع الأديان الأخرى، يذكر رحالة من القرن التاسع عشر أن الايزيدية يوسعون دائرة إجلالهم لتشمل الديانات الأخرى وهم يزورون الكنائس والمساجد دونما حرج ويعتبرونها من الأماكن المقدسة.

في هذا السياق، ويؤكد إعلان مبادئ بشأن التسامح اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين في 16 تشرين الثاني 1995، بأن لا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها. بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. فالتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام.

وعودة للديانة الايزيدية وما تمتلكه من تراث كبير تجاه هذا المفهوم نجد الكثير من العادات والتقاليد الايزيدية فيما يخص التسامح الديني لعل أبرزها تقليد "الكرافة" الذي يوصف بكونه نظاما اجتماعيا إنسانيا ايزيديا متميزا بات عرفا مشروعا

بكيفيته وإحكامه وأثاره وأهدافه. والكرافة بمعناها الاصطلاحي في الايزيدية تعني ان يتخذ الايزيدي شخصا آخر(قد يكون ايزيديا من غير طبقته واحيانا من نفسها، وقد يكون مسلما أو مسيحيا) كريفا له أي أن يتآخى معه عن طريق رابطة الدم المقدسة. ولهذا التآخي أسباب متعددة كقناعة الايزيدي بارتباطه الوثيق مع أخيه "الكريف"، أو لدفع الضرر عنه باتقائه شر الكريف أو للحصول على الأمن والأمان أو الحماية أو جلبا للنفع وتحقيقا لمصلحة. وإذا كانت هذه أسبابا واردة من الناحية التاريخية عندما كان الايزيدي يشعر بالحاجة إلى الحماية من الظلم والاعتداء، لا يزال تقليد "الكرافة" مستمرا في التطبيق حتى بعد زوال تلك الأسباب، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حب الايزدي في الارتباط بفرد من غير ديانته ودليل على إيمانه بالتسامح تجاه الغير. والكرافة من أنبل عادات الايزيدية فالكريف يصبح واحداً من العائلة وأخا في الدنيا تترتب عليه كافة التزامات الإخوة الصادقة، أي أن الايزيدية ترغب في بناء مجتمع سليم مبني على أسس التقدير والاحترام المتبادل. وقد أشاد الكتاب بهذا العرف الذي تتفرد به الايزيدية وبأهميته في تقوية العلاقات الاجتماعية ونشر المحبة والتسامح بين المجتمع. يقول صديق الدملوجي(9) في كتابه (اليزيدية): "الكريف، بمعنى الصديق، وللكرافة أهمية عظيمة عندهم. وقد يتكارف المسلم واليزيدي بختن احدهم ولد

الآخر في حضنه ويسمى ((كريفى خونى)) أي (كريف الدم المتآخي في الدم ... ويعتقد ان كلمة كريف جاءت بمعنى التآخي في الحياة حسب المفهوم العامي للكلمة بين الايزيدية).

إن الايزيدي يحترم هذه الكرافة ويحرص على أداء ما تفرضه عليه من واجبات، فقد توجد بينه وبين كريفه المسلم وحدة تامة لا تقبل الانفصام، وقد يسارع إلى نجدته إذا أصابه مكروه أو عضته نائبة، وقد يقابله المسلم بعين هذه الواجبات ويكون أمينا على عرضه ويساعده في ماله. يقول زهير كاظم عبود في بحث له بعنوان (الكرافة من أعراف الايزيدية الإنسانية) إن "ظاهرة الكرافة لدى الايزيدية جديرة بالتنقيب والبحث والدراسة والتأمل، هذه الظاهرة الاجتماعية النبيلة التي يتفرد بها الايزدية في المنطقة، وتميزهم بين كل الأديان، كانت حقا ظاهرة إنسانية لم يسبقهم إليها شعب من الشعوب، وبالرغم من كون الشعوب تمسكت بظواهر هي قريبة الشبه بالمكارفة، إلا أن ظاهرة الكرافة الايزيدية واسعة وصريحة وصارمة وتعبيرية عن بقاء الحس الإنساني لدى المجتمع الايزدي رغم الجراح والدماء والخسائر الفادحة، وهي دليل أكيد على تغلب قيم الخير في الإنسان على قيم الشر" (10).

وحول مكانة المرأة في الديانة الايزيدية، هناك نصوص دينية مقدسة تتحدث عن أهمية المرأة ودورها الإنساني لكن سنكتفي

بالاشارة هنا إلى شهادة بعض الرحالة الذين زاروا المناطق الايزيدية ومنهم (لايارد) وهو المطلع على طبيعة حياة المجتمع الايزيدي، حيث يقول: إن المرأة الايزيدية تمارس دوراً ونشاطاً كبيراً في الأسرة والمجتمع، فهي غير منعزلة عن الرجال وتستقبل الزوار بمعنى ان المجتمع الايزيدية يحترم المرأة ويثمن دورها ومكانتها في المجتمع. وتصف (المس بيل) نساء قرية باعذرة خلال زيارتها لها عام 1909 بقولها: "المرأة الايزيدية هنا تتمتع بقدر كبير من الحرية، فتخالط الرجال وتشارك في الحوار معهم". أما (فوربس) فيقارن بين دور المرأة في المجتمع الايزيدي والاوربي حيث يقول: "المرأة اليزيدية لا تخفي وجهها بل تتجول تقوم بشؤونها وتختلط بالرجال مثل النساء في أوربا" (11).

ان هذا التنوع الموجود في الديانة الايزيدية وما يمتلكه المجتمع الايزيدي من مفاهيم تشجع على التعددية والتنوع هي عوامل مساعدة في سبيل فهم الايزيدية للطريق الصحيح، مما يعني الخطوة الأولى لفهم أتباع هذه الديانة بالشكل الذي لا يميزهم عن أتباع الديانات الأخرى، وهي من ضرورات بناء المجتمع الذي يسود فيه الاستقرار والتسامح وقبول الآخر المختلف.

وفي الختام، يظهر لنا ان التسامح مبدأ أنساني يقوم على أساس احترام وقبول الأخر، فبالتسامح يسود الحب والألفة والتعاون والإخاء وكل ذلك كفيل بوضع حد للصدامات والنزاعات الدينية

والمذهبية، كما انه عامل فاعل في ترسيخ أسس السلم الأهلي في أي مجتمع، مهما تنوعت وتعددت دياناته. أي ان الجميع يمتلكون الحقوق والوجود والدين والثقافة والحضارة، والحقيقة والإيمان وأسباب الوجود ليست ملك لطرف دون آخر، فلا يمكن الانتهاك ولا يقبل المساس بأي من هذه الثوابت.

هوامش

1- اغلب النصوص الدينية أخذت من رجل الدين الايزيدي شيخ علو خلف، مواليد 1951، يسكن حالياً في مجمع شاريا.

2- د. خليل جندي. نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية، منشورات رابون (السويد: 1998)، ص20.

3- المصدر نفسه، ص25.

4- عز الدين سليم باقصري، الخليقة والتكوين لدى الايزيدية، مجلة لالش، العدد (9) (دهوك شباط 1998)، ص .

5- اليزيدية. مخطوطة موجودة في أرشيف مركز لالش الثقافي والاجتماعي بدهوك تحت الرقم (34).

6.علي أسعد وطفة، مفهوم التسامح بين شرق وغرب، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، متوفر على الرابط التالي: http:// www.mokarabat.com/s8592.htm

7.المصدر نفسه.

8-عقيل عدنان، التسامح الديني مطلب إنساني، الحوار المتمدن ـ العدد: 1466 2006. متوفر على الرابط التالي:http://www.ahewar.org/debat/ show.art.asp?aid=57615

9- صديق الدملوجي، اليزيدية، الطبعة الثانية، 2010، ص117.

10. زهير كاظم عبود، الكرافة من أعراف الايزدية الإنسانية، مجلة لالش، العدد (20) تشرين الأول 2003، ص 34.

11- ارشد حمد محو، الايزيديون في كتب الرحالة البريطانيين من مطلع .القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دهوك، 2011.

السلام في الإسلام

د. إسماعيل ابابكر علي

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد- جامعة دهوك

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد. السلام عرف بتعريفات عدة فقيل بأنه "غياب العنف أو الشر وحلول العدالة " وعرفه البعض بأنه "عبارة عن محصلة التفاعل ما بين النظام المدني والعدالة الاجتماعية"، ثم جاء تعريف أعم للسلام بأنه "ليس فقط غيابا للشر بل هو حلول الخير للفرد والمجتمع" وعرف السلام أيضا بما يترتب عليه

من آثار فقيل بأنه "مبدأ وصفة أخلاقية تقوم على الاستقرار الداخلي وطمأنينة الروح"(1).

والسلام هذا الذي تم تعريفه بالتعريفات السابقة فانه وان تضمن كل المعاني واشتمل على كل التعريفات فإن الإسلام في قاموسه الفكري والعقائدي والفقهي يستوعبه ويقبله ويسعى جاهدا من أجل تطبيقه في واقع المسلمين سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات الدول أم الأمم. فاللّه عز وجل و الذي يدعو إلى السلم من خلال عبادته والإذعان لأوامره يقول اللّه تعالى {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (يونس25).

إن السلام اسم من أسماء اللّه تعالى وهو في الوقت نفسه اسم للإسلام. وقد قال اللّه تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً} (البقرة208). وجاء هذا التعريف أيضا من قول الرسول عليه الصلاة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى اللّه عنه)(2).

أهمية السلام

نظرا لأهمية السلام وضرورة توفيره في المجتمعات قاطبة دون استثناء فقد أشار القران الكريم إلى السلام في أكثر من آية قرآنية في مواضع الامتنان على البشر من مسلمين وغير

مسلمين، ومن تلك الآيات:

قال تعالى: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}. (قريش 3-4).

وأيضا أقسم ببلدهم الأمين في قوله تعالى ((وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ{1} وَطُورِ سِينِينَ{2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ{3} (التين 1-3).

ويقول اللّٰه تعالى {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) (البقرة125).

فالآية الكريمة هذه تشير إلى ان اللّٰه انعم على قريش بنعمة الأمن من الخوف والإطعام بعد الجوع وأن هذه النعمة من شانها أن توجب على قريش تذكر النعمة والقيام بعبادة اللّٰه جل وعلا. ثم وصف اللّٰه البيت مميزا إياه بالمثابة والأمن. وكأني أفهم من الآية أن المصلى لا تؤدي دورها الحقيقي في العبادة إلا إذا كان الأمن موجودا.

قال اللّٰه تعالى: {وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (النحل112).

وفي هذه الآية الكريمة ان من ثمرات الإيمان المستند إلى الإيمان هو الأمن والسلم وأن نقيضه هو الخوف والجوع. فالأمن في المجتمعات يكون سببا لرفاهيتها من حيث وفرة الرزق الرغيد

ومن كافة النواحي فالرزق والرفاهية أمر مرهون بالسلم والأمان.

وتأكيدا لما تم ذكره من الآيات الكريمة يقول رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"، فهذا يدل على أن الأمان والسلام من أركان السعادة في الدنيا. ففي الحديث الشريف إشارة واضحة إلى مكانة السلم في الإسلام إذ الأمن والسلم لو كان من نصيب الشخص كان قرير العين مرتاح البال.

مكانة السلام في الإسلام

لما مر ذكره ومن ملاحظة قواعد ومبادئ الإسلام يمكن القول:

1ـ مكانة السلام في الإسلام تأتي من اسم اللّٰه تعالى فقد سمى نفسه بالسلام {هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَـهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الحشر23).

2ـ أطلق اللّٰه تعالى على الجنة اسم (دار السلام) لتكون مستقرا لمن يستحقها ممن امن باللّٰه وعمل صالحا {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (يونس25).

3ـ إن الصلاة التي هي عماد الدين فيها منهج تربوي يغرس في نفوس المصلين المؤمنين السلام ففي التشهد يدعو المصلي بالسلام

على الرسول عليه الصلاة والسلام ويدعو بالسلام لكل المسلمين ثم ينهي صلاته يمينا وشمالا بالسلام، والمتدبر لهذا يدرك جيدا أهمية ومكانة السلام في الإسلام. فالصلاة ليس مجرد أقوال وكلمات تردد من قبل المصلي، بل لابد وان تتحول هذا الكلمات إلى واقع عملي مؤثر لذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من اللّٰه إلا بعدا". وإذا كان هذا هو شأن الإسلام مع السلام في الصلاة فلابد أن يدرك المسلم أهمية ذلك، فالصلاة هذه لابد وأن تغرس في نفوس المصلين ما يرددونه في صلواتهم، إن الإسلام لا يقبل من الصلاة ما كان شكلا فقط، انه يريد من السلم صلاة حقيقية عملية مطبقة في حياته.

وكان هذا هو شأن الإسلام في كل عبادة يفرضها على المسلمين، فإنه إنما أراد بهذه العبادات الصلاح والفلاح وتزكية لنفس من يؤديها لذا كان الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم يحذر من أن تذهب عبادة المسلم هباء منثورا وكان يقول صلى اللّٰه عليه وسلم (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)

وتأتي أهمية ومكانة السلام من تلك الغاية والآثار المترتبة على تحقق السلام سواء على صعيد الأفراد أو الأسر أو المجتمعات: استقرار المجتمع بكافة أفراده مسلمين وغير مسلمين.

والدليل على ذلك منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة بعدما هاجر إليها من حيث خطوته في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووضع دستور المدينة، وتهيئة أسباب الاستقرار من حيث إعداد العدة لمنع الاعتداء عليهم.

وكان تحديد العلاقة مع الغير هو الأساس في تحقيق الأهداف والمقاصد المرجوة من خطواته.

قال اللّٰه في كتابه العزيز: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة71).

فقد حددت هذه الآية نوع العلاقة مع المسلمين أنفسهم وهو الولاء، وعدم الاعتداء عليهم بأي شكل من الأشكال ويؤكد ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام "المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان اللّٰه في حاجته" .

ومنع المسلمين من الاختلاف والنزاع والشقاق وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران105).

العلاقة مع غير المسلمين

أساس علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على ان الأفضلية لمن آمن وقدم العمل الصالح لخير البشرية، وان الاختلاف بين بني البشر لا يجوز ان يكون سببا للتعالي على الآخرين بل هذا الاختلاف وجد ليكون وسيلة تعارف قال اللّٰه تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات13).

فالسخرية والاستهزاء بالأمم والشعوب والتنقيص من شأنها أمر لا يتوافق مع أصول ومبادئ الإسلام يقول اللّٰه تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الحجرات11).

نعم إن الالتزام بهذه الآية وجعلها واقعا عمليا في حياة الناس في نفوسهم وأسرهم ومجتمعاتهم لهي كفيلة بأن تحقق على الأقل الأمن الاجتماعي داخل المجتمع. وهذا ما نحن بأمس الحاجة إليه داخل مجتمعاتنا، وواقع مجتمعاتنا من حيث التطاحن والاختلافات والتهم المتبادلة يشير إلى مدى الحاجة إلى أن يغرس هذا المفهوم في نفوس وعقول الناس حتى يتحول السلم إلى

واقع مجتمعي فعلي.

نعم كان هذا مبدأ استقر عليه الإسلام منذ أن جاءت رسالته إلى البشرية، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء1).

فالكل متساوون أمام اللّه، لأنهم مشتركون في أصل الخلقة، إنهم من آدم عليه الصلاة والسلام فعن أبى هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: " قد أذهب اللّه عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء. مؤمن تقى؛ وفاجر شقى. والناس بنو آدم وآدم من تراب" . قال الترمذي هذا حديث حسن .

وإذا كانت العقول متفقة على أن إقرار بعض من الحقوق داخل المجتمع تعد عوامل أساسية في استقرار المجتمع وأمنه وسلمه كحق التكريم والأمن والتعليم والتنقل وحرية الفكر وغيرها من الحقوق الأساسية التي تقرها الآن الاتفاقيات والعهود الدولية، فان الإسلام وبكل وضوح قد أقر هذه الحقوق لبني البشر وتوفي الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمون على قناعة تامة من أن هذه الحقوق ليست منة من أحد لأحد وإنما هي حقوق ونعم أنعم اللّه بها على البشر دون استثناء وإن كانت هناك بعض من الحقوق تستند إلى أساس ديني إلا أن المبدأ العام لم يكن أبدا

تسير نحو التنقيص من أحد أو سلبه حقائق من حقوقه إستادا إلى دينه أو عرقه أو جنسه.

فمن أجل أن يحصل الناس على حقهم الأمني ونحن هنا حينما نشير إلى الحق الأمني فإنما نقصد بذلك أمن الشخص في كافة مجالات حياته أمنه في نفسه ومع زوجه ومع أسرته ومع جيرانه وأمنه داخل المجتمع سواء أمنه في نفسه أو ماله أو نسله أو عقله أو فكره. فهذه الحقوق التي نحن بصددها أقرها الإسلام وليس لأحد أن يمن ويتفضل على أحد ليمنحه هذا الحق أو يسلبه، إنها حقوق في نظر الإسلام إلهية وربانية.

من أجل ذلك فقد حدد الإسلام مكانة المرء وأعطى له الفضل والتكريم وميزه وفضله على كثير ممن خلق اللّه تفضيلا يقول اللّه تبارك وتعالى {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (الإسراء70). إذن الآية واضحة من أن البشر هم في قمة مخلوقات اللّه وأن اللّه تبارك وتعالى قد تكفل برعايتهم وأرزاقهم.

ولكي يستقر هذا الأمر فقد وضع الإسلام منهجا ونظاما عاما شاملا يتكفل بحماية هذه الحقوق، لذا فقد خطا الإسلام خطوات عملية في تشريعه ومن ذلك حرم الإسلام القتل يقول اللّه تبارك وتعالى: {قَلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكَمْ عَلَيْكَمْ أَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ } (الأنعام151).

وحدد لهذه الجريمة البشعة عقوبة متناسبة وحجم الجريمة يقول اللّه تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة 17). ويقول جل وعلا {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً } (النساء93).

وحرم الاعتداء على أموال الناس {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} (النساء29). وحدد لهذه الجريمة عقوبة تتناسب وحجم الجريمة فقال اللّه تبارك وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} (النساء10. ويقول جل وعلا {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة38).

وحرم إشاعة الفاحشة داخل المجتمع وحدد لمن يقدم على هذا

السلوك المشين عقوبة أخروية وترك للقاضي في أن يقدر عقوبة تعزيرية تردعه عن العود إلى ارتكاب مثل هذا السلوك. يقول اللّه تبارك وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النور19).

بل ان الإسلام قد حدد تلك الأسس التي تجعل من الناس آمنين حتى مع غير البشر من حيوان وجماد، فقد غرس الإسلام في نفوس المسلمين مبادئ تجعلهم يتعاملون حتى مع غير البشر بصفة إنسانية رحيمة وهذا أمر مفروض عليهم وإن كان هناك ثمة خروج على هذا المبادئ فإن الإسلام ونظامه ليس مسئولا عن ذلك أبداً، بل لابد وأن نشير بأصابع الاتهام إلى من هم المسئولون عن ذلك من أناس خرجوا عن مبادئ الدين الصحيح.

نعم ان الإسلام حدد أسس التعامل بالرفق والحسنى مع غير البشر، فقد جعل العلاقة بين الإنسان وبين الطبيعة علاقة تواد وسلام لا علاقة حرب وصراع، ثم منع المسلم من أن يأتي ويصدر ما يربك الطبيعة والمخلوقات ويشوه تلك الصورة الجميلة التي منحها اللّه لهذه الطبيعة من جماد وحيوان.

فقد حدد اللّه تبارك وتعالى ان الكل عائد إلى اللّه من إنسان وغيره، فقال اللّه تبارك وتعالى {وَلِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} (آل عمران109).

وجعل اللّٰه وظيفتنا جميعا من بشر وغيره واحدة أمام اللّٰه، يقول اللّٰه تبارك وتعالى {يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التغابن). بل جاءت الآيات لتوضح الصورة بعمق لا لبس فيه ولا غموض فيقول اللّٰه تبارك وتعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور41).

ثم جعل الإسلام نظرتنا إلى الطبيعة على أنها وجدت لمصلحتنا لا من اجل أن نتصارع معها "نعم أن تكون مسالما مع الكل هو الأصل" وكان هذا هو تصور الإسلام مع كل الطبيعة، فقد وضع لذلك أسسا في نصوص واضحة وسيرة نبوية عملية صادقة ومؤكدة لما جاءت به الآيات الكريمات. يقول اللّٰه تبارك وتعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (البقرة164).

ثم يوضح لنا ان كل ما في الكون مسخر لبني البشر دون استثناء فالآية الكريمة هنا تحدد لنا نوع العلاقة مع الكون وما فيه من مقدرات، فيقول اللّٰه تبارك وتعالى {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية13).

لذا فان الإسلام منع وحرم الفساد في الأرض والاعتداء على الحرث والنسل وعد هذا من الفساد الذي لا يحبه اللّٰه تبارك وتعالى {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} (البقرة205). ولا شك أن الذي يهدد الأمن والسلم هم ذاك التصرف الذي لا يفرق بين الأخضر واليابس وبين الإنسان والحيوان والجماد ولا يفرق بين المعتدي وبين من هو مسالم في بيته لا شأن له بالاعتداء والحرب.

وإذا نظرنا إلى فلسفة الإسلام في التعامل حتى مع الحيوان ندرك جيدا أن يؤسس لمبدأ السلم والأمن للنظر إلى هذا الحديث الذي يعالج في الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم واقعة يعاني فيها الطير من فزع وعدم استقرار عبد الرحمن بن عبد اللّٰه عن عبد اللّٰه أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم نزل منزلا فأخذ رجل بيض حمرة فجاءت ترف على رأس رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال أيكم فجع هذه ببيضتها فقال رجل يا رسول اللّٰه أنا أخذت بيضتها فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم اردده رحمة لها. رواه البخاري في الأدب المفرد.

عليه فكل إفساد على الناس في حياتهم وأموالهم وكل ما من شأنه إدخال الرعب والخوف في قلوبهم كل ما كان من هذا القبيل

فإن الإسلام حرمه وواجهه بأسلوب حكيم وصارم لم يترك مجالا لأي تأويل يقول اللّٰه تبارك وتعالى {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة33).

بل جاءت الآية واضحة في ان الاختلاف في الدين ليس مانعا من التعامل مع الغير وليس مانعا من تقديم النصح والمشورة وليس مانعا من تقديم البر والإحسان إليهم شرط ان لا يكونوا من المعتدين على دولة الإسلام ورعاياها في أعراضهم وأموالهم من مسلمين وغير مسلمين، قال اللّٰه تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة8).

وإنما جاء النهي فقط عن التعامل مع غير المسلمين إذا كان هناك ثمة اعتداء منهم وهذا أمر تسير عليه كافة التشريعات قديما وحديثا، قال اللّٰه تعالى {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة 9).

والأساس الآخر أن الناس أحرار فيما يعتقدون كوسيلة من وسائل استقرار الأمن والسلم داخل المجتمعات وخاصة تلك المجتمعات التي تتعدد فيها الطوائف والديانات "فليس من حق

احد أن يكره أحدا على اعتناق أي دين أو أي مذهب بل الناس احورار فيما يعتقدون وفيما يعبدون شرط ان لا يخرج عن الأدب والنظام العام الذي يؤثر سلبا على عامة المجتمع. يقول اللّه تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة256).

بل إن الإسلام ومن منطلق وحدة المصدر في الأديان اعترف بكل الديانات السماوية التي سبقته كدين سماوي منزل من عند اللّه تبارك وتعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة285). وكان هذا الأساس في المبدأ راسخا في الفكر الإسلامي منذ بداياته وحتى الآن فكل الأنبياء جاؤوا برسالة واحدة ألا وهي التوحيد وعبادة اللّه جل وعلا {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }النحل36. ويقول اللّه جل وعلا {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء25).

بل ذهب الإسلام إلى ابعد من الاعتراف حيث عد هذه الديانات في بعض من الحالات مصادر يمكن الرجوع إليها فقد قال

اللّٰه تبارك وتعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (الشورى)13. ولذلك وجدت تلك المقولة بين الفقهاء "شرع من قبلنا هل هو شرع لنا".

وفي حال الرغبة في دعوتهم إلى الدخول في الدين الإسلامي فلابد ان تكون دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة. وإن وجد ثمة اختلاف في الرأي واحتاج الأمر إلى المناقشة والحوار فلا يجوز أن تكون المجادلة إلا بالتي هي أحسن، قال اللّٰه تعالى {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل125).

لقد منع الإسلام سب أي دين أو انتقاص منه احتراما منه بحق الآخرين في اعتقادهم، قال اللّٰه تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (الأنعام108).

يقول صلى اللّٰه عليه وسلم: "يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا

لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول اللّٰه ـ صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ـ ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: إن اللّٰه قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري، قال: أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول اللّٰه ـ صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ـ قال: ليبلغ الشاهد الغائب".

ولم تكن هذه هي نظرة الإسلام إلى الديانات السماوية فقط بل ان هذه النظرة ومن ثم العلاقة عدت وتجاوزت غير المسلمين من أهل الكتاب في مشروعية إقامة العلاقة الاجتماعية معهم حينما قال الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يشير إلى نوع العلاقة مع غير المسلمين من غير أهل الكتاب "أخبرنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال له عبد الرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب"(3).

وكان هذا المبدأ العام هو الأساس في التعامل مع غير المسلمين عموما وكان هذا المبدأ هو سبب من أسباب استقرار المجتمع المسلم آنذاك ولم يأت المبدأ من ضغط اجتماعي أو سياسي على الرسول

عليه الصلاة والسلام وإنما كان هذا نابعا من عقيدة وإيمان الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم بهذه الحقوق للمسلمين وغير المسلمين لذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام قد دون هذا المبدأ الذي يقوم على أساس قبول الأخر والتعايش السلمي مع الغير في وثيقة المدينة، تلك الوثيقة التي تعد من أول الدساتير التي دونت على مر التاريخ حينما اقر الرسول بهذه الحقوق.

"قال محمد ابن إسحاق كتب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم بسم اللّٰه الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت إلى أن قال: وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل.

وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم

أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل اللّٰه إلا على سواء وعدل بينهم.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن باللّٰه واليوم الآخر أن ينصر محدثنا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة اللّٰه وغضبة يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى اللّٰه عز وجل وإلى محمد صلى اللّٰه عليه وسلم.

وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين.

لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وان ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف وان بطانة يهود كأنفسهم.

وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.

ولا ينحجر على ثار جرح.

وانه من فتك فبنفسه إلا من ظلم وان اللّٰه على أثر هذا.

وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

وإن النصر للمظلوم.

وإن يثرب حرام حرفها لأهل هذه الصحيفة.

وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى اللّٰه وإلى محمد رسول اللّٰه وان اللّٰه على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره"(4).

إن المتتبع والدارس لهذه الوثيقة التي وضعها الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم مع الطوائف المتعددة من المسلمين وغير المسلمين يدرك انه أرسى دعائم السلام والأمن داخل مجتمع المدينة، ففيها إقرار باليهود على إنهم امة مع المسلمين، وان لليهود ديانتهم وعقيدتهم ولا يكرهون على شيء من هذا القبيل، وفي هذه الوثيقة إشارة واضحة إلى ان النصح والنصيحة هو ديدن من وقع على هذه الوثيقة، وحدد الرسول عليه الصلاة والسلام المرجع الوحيد في حال الخلاف والنزاع سواء على مواد هذه الوثيقة وتنفيذها أو الخلاف والنزاع في أي أمر آخر.

و لا ننسى أن المؤاخاة الذي عقده الرسول عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار كان له الدور الكبير في إرساء السلام

وإزالة الفوارق التي كان لها التأثير على الصراع بين القبائل فقد قال"محمد بن إسحاق وآخى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ باللّٰه أن نقول عليه ما لم يقل تآخوا في اللّٰه أخوين أخوين، ثم اخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي، وكان حمزة ابن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة"(5).

ثم حول الرسول عليه الصلاة هذا العهد إلى واقع عملي بإلزام الناس بما ورد فيه من التزامات فقد قال الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم "المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويده"، "والمؤمنُ من أمِنَه الناسُ على دمائهم وأموالِهم". رواة الترمذي عن أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه. وفي القرينتين حصرٌ، وهو يؤدي انتفاء اسم الإسلام والإيمان عند عدمِ سلامة الناس، وعدم الأمن منه، فمن كان مسلماً ينبغي أن يشهدَ له عملَهُ، وهو سلامةَ الناس من لسانه ويده، ومن كان مؤمناً يجب أن يأمَنَه الناسُ على دمائهم. وبدون ذلك، إسلامه وإيمانه، غير مصدَّقٍ من العمل، وإذا لم يصدَّق عمله، فإذن هو أمرٌ يدَّعيه هو، ولا ندري أهو كذا أم لا ؟(6).

حالة الحرب

وأما في حالة الحرب فقد كان للإسلام قواعده ومبادئه العادلة والمشروعة والتي لم ولن تصل إلى سموها أي تشريع آخر دوليا كان أم محليا:

فالحرب والقتال حالة استثنائية وهي مكروهة من حيث العموم قال اللّه تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة216).

أما وان حدث قتال فان كان بين المسلمين فالواجب هو وقف القتال والاحتكام الى الشريعة والقانون والانتصار للمظلوم قال اللّه تعالى {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَا ءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الحجرات9).

وأما ان كان بين المسلمين وغيرهم فلا قتال ولا حرب استباقية يشنها المسلون أبدا، بل هو حرام وهو من قبيل الاعتداء والتجاوز المنهي عنه "إن اللّه لا يحب المعتدين"، إن اللّه لا يحب الظالمين". عليه فالقتال المشروع في الإسلام هو للأسباب التالية:

- رد الاعتداء {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (البقرة194).

- منع الفتنة والشقاق التي يستعملها الأعداء لفض صفوف المسلمين بهدف تفتيت وحدتهم {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} (البقرة193).

- الدفاع عن الضعفاء من المسلمين {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً} (النساء75).

آداب القتال في الإسلام

بل وحتى عند مشروعية القتال فليس كل قتال وليس كل وسيلة وليس كل تصرف جائز بل حدد الإسلام القواعد والمبادئ والأخلاقيات التي يجب مراعاتها عند القتال منها:

سمو الهدف: (من قاتل لتكون كلمة اللّٰه هي العليا ، فهو في سبيل اللّٰه)

ابتغاء الصلاح والفلاح ومنع الفتنة ويكون الدين للّٰه.

منع التكبر والبطر والاستعلاء قال اللّٰه تعالى {وَلاَ تَكُونُواْ

كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (الأنفال47).

منع قتل النساء ، والأطفال ، والشيوخ ، والرهبان في معابدهم.

كان رسول اللّٰه عليه الصلاة والسلام إذا غزا قال للصحابة وأوصاهم بـ "انطلقوا باسم اللّٰه وباللّٰه وعلى ملة رسول اللّٰه لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن اللّٰه يحب المحسنين"(7).

ومن مدرسة الرسول تخرج الصحابة وطبقوا مبادئه في السلام، ولو لاحظنا ما كان يوصي به الخليفة الأول أبو بكر الصديق جيوشه التي كانت تسير الى القتال لوجدنا انها لا تقل أبدا عن تلك المبادئ التي اتفقت الشرائع الدولية على ضرورة الالتزام بها أثناء الحرب فقد جاء في تأريخ الطبري وصية الخليفة أبي بكر لأسامة وجيشه " يا أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"(8).

أقول إن هذه المبادئ والقواعد التي ألزم الإسلام مقاتليه بها

أثناء الحرب أولا هي جزء من أخلاقيات الإسلام في الحرب وهي وسيله في حد ذاتها لعدم تعميق روح العداء بين المسلم وغير المسلم فيما بعد السلام، فالتنقيب بعد الحرب عن الأخلاقيات التي مورست في ظل الحرب له الأثر الكبير في استقرار السلم والأمن، فالحرب العادلة التي تقوم على أساس:

"محاربة المقاتل فقط وحماية غير المقاتلين حتى وإن كانوا من طرف العدو" فإن هذا لا يبقي في نفوس الأعداء ذلك العداء. وعكس ذلك لو أن الحرب كانت مشروعة واستخدمت فيها كل الوسائل ليس فقط ضد المقاتلين بل شمل غير المقاتلين من الأبرياء فإنما هي حرب تولد وتعمق الجراح وإزالة العداء سيكون صعبا جدا ان لم نقل انه من المستحيل.

وكل هذا لا ينطلق من مبدأ المعاملة بالمثل فلا يجوز التجاوز على المعتدي، بل لابد أن يكون الموقف معه على وفق النص الشرعي الذي لا يجيز بأي حال التجاوز على المعتدي يقول اللّٰه تعالى {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة190).

بل ان العداء لا يمنع من إقامة العدل معهم بل يذهب الأمر إلى ابعد من ذلك إذ يفرض الإسلام القيام بالعدل حتى مع الأعداء{يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}المائدة8.

حفظ السلام

ومع كل ما مر فان السلام بعد الحرب أمر مشروع ومستحب وهو ما حث اللّٰه تبارك وتعالى المسلمين عليه حينما قال اللّٰه تعالى {وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }الأنفال61.

فلو طلب المقاتلة من الأعداء أيا كانوا السلم فالاستجابة إليه أمر مستحب ان لم يكن هذا واجبا، مع مراعاة أحوال الحرب ومصلحة الدولة وتحقيق المصالح العليا للدولة على اختلاف مواطنيها من مسلمين وغير مسلمين.

نعم إن اللجوء إلى السلم وتحويل الصراع إلى حالة من السلم ومن ثم حفظ هذا السلم إلى واقع يعيشه الناس عن طرق إدارة الصراع وبناء السلم، نعم إن كل هذا أمر يفرضه الإسلام على رعاياه من مسلمين وغير مسلمين.

وقد جاء في تفسير هذه الآية وَإِذَا جَنَحَ الأَعْدَاءُ إِلَى السَّلمِ ، وَمَالُوا إِلَى المُهَادَنَةِ وَالمُصَالَحَةِ ، فَمِلْ أَنْتَ إِليها ، وَاقْبلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، لأَنَّ الحَرْبَ لَيْسَتْ غَرَضاً مَقْصُوداً لِذَاتِهِ عِنْدَكَ ، وَإِنَّمَا

تَقْصِدُ بِهَا أَنْتَ دَفْعَ خَطَرِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ ، وَلأَنَّكَ أَوْلَى بالسِّلْمِ مِنْهُمْ ، وَفَوِّضِ الأَمْرَ للّٰهِ ، وَلاَ تَخَفْ غَدْرَهُمْ وَمَكْرَهُمْ ، فَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا يَقُولُونَ ، العَلِيمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ، فَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ مِنَ الكَيْدِ وَالخِدَاعِ ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ(9).

فقد كان السلم جزء من سياسة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم واكبر دليل على ذلك صلح الحديبية في عام ست من الهجرة يقول اللّٰه قال تعالى: (لقد صدق اللّٰه ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء اللّٰه آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا) فجعل من دون ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية. يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه.

قال ابن إسحاق: في قوله تعالى: {فجعل من دون ذلك فتحا قريبا}: "صلح الحديبية قال الزهري فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة و وضعت الحرب أوزارها و أمن الناس كلم بعضهم بعضا و التقوا فتفاوضوا في الحديث و المنازعة فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه و لقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

ومن مدرسة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم تخرج الصحابة على هذا النهج الذي يرى بأن السلم هو الأساس في التعامل مع الغير

والذي يتتبع ويحلل ما كتبه عمر رضي اللّٰه عنه لأهل إيلياء يدرك هذا جيدا وهذا نص ما كتبه عمر لأهل ايلياء ((بسم اللّٰه الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدُ اللّٰه عمرُ أميرُ المؤمنين، أهلَ إيليا من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملته؛ أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم... وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ اللّٰه ، وذمّةَ رسوله ، وذمّةَ الخلفاء ، وذمّةَ المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك : خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة للهجرة)).(10).

وأخيرا فإن الالتزام بالعهود من أهم ما يجب أن تتميز به الدولة الإسلامية التزاما بنص القرآن الكريم يقول اللّٰه تبارك وتعالى {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }النحل91-92.

والالتزام بالعهود كان من سمة الإسلام وأمر به الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم، وحرم الاعتداء على كل من له عهد وأمان مع

المسلمين، وقد ورد عن عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهما: عن النبي صلى اللّٰه عليه و سلم قال (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما) (11).

الهوامش

(1) حل النزاعات، زياد الصمادي، ص9.
(2) الإمام البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص13.
(3) مسند الشافعي، الإمام محمد بن إدريس أبو عبد اللّٰه الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت صفحة 209.
(4) البداية والنهاية، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، ج 3، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت، ص225.
(5) سيرة ابن هشام ، ج4، ص290.
(6) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 74.
(7) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر : مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ، 1414 – 1994، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ج9، ص90.
(8) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، ج 2، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1407، ص 246.
(9) أيسر التفاسير، أسعد حوم، ج1، ص 1222.
(10) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ج 8، الناشر : دار الحرمين ـ القاهرة ، 1415، تحقيق: طارق بن عوض اللّٰه بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ص24.
(11) الإمام البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص 1155.

منظور المسيح (ع) للتعايش السلمي

الأب حنا عيسى
الكنيسة الكلدانية - عقرة

إنه لمن العبث أن ندعو إلى التعايش السلمي وإلى تعزيز وترسيخ هذا المفهوم الرائع في ثقافتنا الراهنة وفي واقعنا الحالي ما لم تسنده رؤية ترتكز إلى أسس قوية، متينة وعميقة من أجل أن يقوم ويدوم.

وفيما لأهل الأديان الأخرى رؤاهم، فإن للمسيحية رؤيتها الخاصة بها، هذه الرؤية التي ستكون مدار بحثنا في هذا المقال

الذي نودّ أن يكون إسهاماً متواضعاً ولكن حقيقياً في هذا المضمار.

المسيح والتعايش السلمي

إن التعايش السلمي، بالنسبة إلى المسيحيين، يجد، ولاشك، جذوره وأصوله في شخص يسوع المسيح كما في رسالته.

وإذا ما أردنا أن نعرف رؤية يسوع المسيح حول هذا التعايش السلمي، فلا بد لنا من معرفته هو. ذلك أن هذه الرؤية إن هي إلا جزء من شخصه أو شخصيته إذ هي نابعة أو صادرة منه، بالإضافة إلى جوانب أخرى مكملة لشخصيته كأفكاره وآرائه وأحاسيسه وأسلوبه وطريقة عيشه الخاصة به.

ومن خلال قراءتنا للإنجيل المقدس سيتبين لنا بوضوح بأن يسوع المسيح لم يكن رجل دين، لا ولا رجلاً متعصباً أو متشدداً لدينه أو قومه، إنه كان مؤمناً باللّه ومحباً للإنسان، ذلك أن من شأن التعصب وهو الضعف بعينه, أن يحجب الرؤية عن الآخر وبالتالي لا تتم معرفته معرفة حقيقية، واضحة وعميقة. كما أنه يعمل على إقصاء الآخر وإلغائه من الوجود إذا ما تطلب الأمر ذلك.

بيد أن يسوع المسيح كان، والحق يقال، إنساناً إنسانياً شاملاً. أجل كان يسوع المسيح إنساناً مثل سائر البشر ما خلا الخطيئة كما يقول الكتاب. ولقد عاش إنسانية حقيقية لا شكلية أو مظهرية أو صورية بكل أبعادها وبعمق وقوة وكثافة, ولذلك نراه يأكل ويشرب، يغضب ويفرح، يتعب ويبكي، يحزن ويحن، يتألم ويموت.

ونضيف إلى ذلك قولنا بأن هذا الإنسان كان إنسانيا شاملاً حاملاً قيماً إنسانية شاملة وكذلك حاملاً قضية. وما قضية يسوع المسيح التي من أجلها جاء إلى هذه الأرض وحملها طوال حياته إلا قضية الإنسان، كل إنسان, ذلك أن الإنسان، في نظره، يمثل أغلى وأهم قيمة طالما أنه أسمى الخلائق طراً في الكون. فهو أفضل من الحيوان والطير والشجر, ذلك أن اللّه ميزه عن سائر الكائنات الأخرى إذ حباه بالعقل والإرادة والحرية، هذه الحرية التي تعتبر أثمن هدية منحها اللّه له والتي بها يكون الإنسان إنساناً وليس شيئاً آخر وبها يبني ذاته كما يبني هذا الكون بإنمائه وتطويره إلى أن يبلغ كماله الأخير والنهائي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبارة الخالق لا ترد على لسان يسوع المسيح وإنما أحياناً كثيرة عبارة الأب وبصورة أقوى، أحياناً، عبارة "أبّا" وهي كلمة آرامية- سريانية تعني بابا. وهذه العبارة خاصة بيسوع المسيح إذ لا نجدها في كل الأدب اليهودي.

وبهذه العبارة أسس يسوع المسيح، ولاشك، لعلاقة جديدة، خاصة وفريدة بمعناها الروحي طبعاً وليس بمعناها الطبيعي، علاقة تقوم على الأبوة والبنوة وما ينجم عنها من حب وتقدير واحترام بين اللّٰه والإنسان من جهة وأخيه الإنسان من جهة أخرى بعيداً عن الخوف والترهيب.

بهذا المفهوم الرائع تتشكل عائلة اللّٰه الكبيرة حيث نكون فيها جميعاً أعضاء، إخوة وأخوات لبعضنا البعض. وبوسعنا التأكيد هنا بأن نظرة يسوع المسيح هذه تلتقي بنظرة اللّٰه نفسه كونه ممثله على هذه الأرض.

إن هذه النظرة هي التي كانت في أصل إقامته للمساواة بين بني البشر من دون تمييز في الدين والعرق واللغة. وانطلاقاً من ذلك لم يفرق بين الرجل والمرأة، بين اليهودي والكنعاني والسامري طالما أنهم بشر يتمتعون بعين الكرامة الواحدة الممنوحة لهم من قبل اللّٰه مع إدراكه التام بوجود اختلافات بين البشر: اختلافات في الدين والقومية والسياسة. ولكن هذه الاختلافات لا تهدف إلى الفرقة والانقسام بل إلى الوحدة والتكامل شأن الاختلاف الموجود بين الرجل والمرأة.

كما أن هذه النظرة هي التي كانت في أصل محاربته كل الشرور التي قد يتعرض لها الإنسان من جراء الخطيئة والسلطة والمال. فراح يغفر الخطايا بسلطته ومحبته ويحارب أصحاب السلطة والمال أولئك الذين يستغلون الإنسان فيحولونه إلى أداة أو آلة مسخرة أو إلى عبد ذليل ليس إلا. من هنا جاءت محاربته للخطيئة من اجل أن يحقق الوحدة والسلام في الإنسان ذلك أن الخطيئة دخلت وما زالت تدخل فيه الفوضى والانقسام والتجزئة.

وكذلك أن هذه النظرة هي التي كانت في أصل احترامه العميق للإنسان إيماناً منه بأن الإنسان وحده قد خلق كائناً متمتعاً بالحرية. وبسبب إيمانه العميق هذا بطبيعة الإنسان لم يستخدم العنف معه ولم يفرض عليه شيئاً بالقوة ولم يرغمه على القبول بالرغم عن إرادته وإنما عرض عليه الإنجيل داعياً إياه إلى الإيمان والتوبة والولادة الجديدة. وتركه حراً تماماً بقبول هذه الدعوة أو رفضها لتضفي حريته هذه معنى وقيمة لهذا القبول. ترى، هل من معنى وقيمة لأقوالنا وأعمالنا إن لم تكن نابعة وصادرة عن حريتنا ؟

وهذه النظرة كانت أيضاً في أصل محبته الكبيرة، العميقة والشاملة للإنسان ذهبت به إلى حد العطاء والبذل والتضحية بالذات من أجله وعوضاً عنه. وبذلك اثبت بأن ما مِن حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه. وما حياة يسوع إلا سلسلة

من العطاءات المتتالية. فجاء هذا العطاء تكليلاً وتتويجاً وقمة هذه العطاءات. فلقد أحب يسوع المسيح كل الفئات: أحب الرجال والنساء والأطفال والشباب والكبار وبغض النظر عن الانتماءات المناطقية أو السياسية أو الحزبية أو الاجتماعية.

وفي الوقت الذي أحب فيه اليهود أهل التوحيد، فإنه أحب أيضا السامريين وهم قوم هجين كما أحب الكنعانيين الوثنيين والذين كانوا يسكنون في جنوب لبنان وبالذات في صور وصيدا. ولقد شمل حبه حتى الأعداء والخصوم أولئك الذين كانوا يضمرون له السوء قولاً وعملاً ولكنه لم يحمل لهم أية ضغينة أو كراهية أو حقد أو ثأر أو انتقام.

وإذ أوصى تلاميذه فهو لم يوصهم لا بالمال أو بالذهب أو الفضة بل أوصاهم بهذه الوصية الذهبية ألا وهي وصية المحبة كما أوصاهم بمحبة جميع الناس، بعيداً عن الحقد والثار والانتقام، محبة تكون على غرار محبته لهم ولجميع الناس: وهذه الوصية هي دعوة لهم جميعاً كما هي دعوة لنا نحن معشر تلاميذه اليوم للسمو والعلو والارتقاء بمحبتهم إلى مستوى محبته.

إن هذه المحبة، بالنسبة إليه، هي الطريق الوحيد التي تفضي إلى اللّٰه كما إلى ملكوته أي إلى الحياة الأبدية إذ ليس هناك طريق آخر. من هنا يتوجب علينا أن نحب وألا نكف عن محبتنا لحظة واحدة، شأن يسوع المسيح.

وأخيراً، إن هذه النظرة هي التي كانت في أصل انفتاحه على جميع الناس وعلى جميع الأقوام والشعوب والأمم آنذاك. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قبوله بالآخر المختلف وبالتالي خلق علاقة معه والدخول معه في حوار مثمر بناء وغني. ولذلك نراه يخالط اناساً من غير القوم اليهودي ويتحدث إليهم ويدخل إلى بيوتهم، الأمر الذي كان يحرمه كل يهودي. كما أنه قام بالعديد من الزيارات لأقوام لم تكن تنتمي إلى القوم اليهودي أو تدين بدينه حاملاً إليها رسالة الخلاص.

أو ليس موقف يسوع المسيح هذا يوحي لنا بأن نقبل المختلفين عنا كما نقبل التعايش معهم بسلام ووئام وانسجام.

وكما أننا نلقى هذه النظرة في شخصه فإننا نلقاها أيضاً في رسالته، هذه الرسالة التي لم تقتصر على شخص أو شعب أو قوم وإنما كانت موجهة إلى جميع الفئات والأقوام والشعوب المجاورة وهي أقوام وثنية كما أسلفنا سابقاً كاسراً بذلك العقلية اليهودية آنذاك والتي كانت تحرم اختلاط اليهودي بالوثني خشية أن يتنجس ولئلا يعرض إيمانه التوحيدي إلى خطر!. وبذلك مد جسراً أو فتح طريقاً أمام المختلفين للالتقاء والتفاهم والتعايش السلمي فيما بينهم، بعيداً عن القطيعة والجهل والتباعد إذ من شأنه أن ينوّر ويوضح ويسقط الأحكام المسبقة.

ومن الأمور الأساسية التي يؤمن بها المسيحيون هو أن موت

المسيح جاء من أجل تحقيق المصالحة بين اللّٰه والإنسان من جهة وبين الشعب اليهودي والشعوب الوثنية من جهة أخرى ليجعل منها شعباً واحداً، إنساناً واحداً يعيش بحب وسلام ووئام بعيداً عن العداوة والخصومة التي كانت سائدة بينهما إلى زمن طويل. وهكذا أحل يسوع، بموته، السلام بين اللّٰه والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان لا بل أن السلام مع اللّٰه يؤدي إلى السلام مع الذات ومع أخينا الإنسان.

التعايش السلمي من منظور المسيحيين

لما كان المسيحيون أتباع يسوع المسيح، فإنه لمن الطبيعي والمنطقي بل شيئاً مفروغاً منه أن يدخلوا جميعاً في منظور معلمهم، هذا المنظور الواسع، الكبير والشامل وذلك بتبنيه ومن ثم بترجمته على أرض الواقع خدمة للتعايش السلمي، مما يتطلب منهم:

1. احترام الآخر وأعني بذلك احترام التعددية والتنوع ذلك أن للآخر هويته، خصوصياته كما أن للآخر حريته، استقلاليته وكرامته وعقيدته. ولذلك ليس من المعقول أو المقبول بل سيكون ذلك أمراً خطيراً جداً إذا ما سعى الأنا إلى إلغاء الآخر أو إقصائه

أو إبعاده أو استغلاله أو استبعاده أو إسكاته بالقوة. فاحترام الآخر هو احترام للأنا وإقصاؤه أو إلغاؤه معناه إقصاء أو إلغاء للأنا. فأنا موجود لأن الآخر موجود. فلولاه لما كنت أنا.

2. محبة الآخر سواء كان من إيماننا أو من غير إيماننا. فلا يحق للمسيحي أن يعادي أحداً حتى لو كان خصمه أو عدوه. كما لا يحق له أن يحمل الضغينة والكراهية لأحد ليكون قلبه صافياً كصفاء سيده ومعلمه، خالياً من كل السلبيات ومليئاً بكل الإيجابيات. ولكيما تكون هذه المحبة حقيقية وكاملة فلا بد أن تتوفر فيها الشروط الثلاثة أو لنقل الأضلاع الثلاثة للمثلث: محبة اللّه، محبة القريب ومحبة الذات. ومتى ما كان ضلع واحد من هذه الأضلاع ناقصاً كانت هذه المحبة ناقصة أو قد تتحول إلى أنواع أخرى رديئة من المحبة كحب الذات مثلاً وأعني بذلك الأنانية. فإذا ما أردنا أن نعيش، نحن معشر المسيحيين والمسلمين بسلام فلا بد لنا أن نحب بعضنا بعضاً بنية حقيقية، صافية، صادقة وخالصة ذلك أن طريق السلام يمر عبر المحبة. فلا سلام من دون محبة وعدل. إنه ثمرة المحبة والعدالة. لذلك يتوجب علينا أن ننشر ثقافة المحبة فيما بيننا وليس ثقافة الكراهية والضغينة والبغضاء ذلك أن المحبة توحد، تجمع وتربط. كما إنها أساس أي نجاح وأي نمو ونهوض وازدهار. ولكيما تكون هذه

المحبة فعالة، يجب ألا تقتصر على النيات أو على الأقوال وإنما ترجمتها إلى أعمال وأفعال تكون بمثابة اختبار حقيقي بين الأهل والأديان.

3. عدم الانغلاق على الذات أو الانعزال أو رفض الآخر أو تجاهله بل الانفتاح بقبوله ذلك أننا لسنا جزراً مقطوعة ومعزولة بل جزءاً من الكل أي جزءاً من البشرية. وهكذا يكون الانفتاح طريقاً إلى التعارف والتفاهم وكذلك طريقاً إلى معرفة أوجه الشبه كما إلى أوجه الاختلاف الموجودة بيننا. فنستثمر المشتركات بيننا من أجل التعايش السلمي وفي ذات الوقت نحترم الاختلافات. وهل في ذلك من ضير أو خير عميم وفائدة كبيرة وأكيدة ذلك أن وجود هذا الاختلافات ليس مصدر تهديد أو قلق أو خوف أو مصدر ضعف أو فقر بل مصدر سلام وقوة وثراء ووحدة وتكامل. ترى، هل للوحدة أو التكامل من معنى إن لم يكن هناك اختلاف كاختلاف الرجل والمرأة أو الاختلاف في اللون أو القومية أو الإيمان أو العقيدة مما يشكل جمالاً وكمالاً، وئاماً وانسجاماً بين المختلفين.

4. وأخيراً يتطلب منا التعايش السلمي هذا السعي الدائم والمستمر إلى معرفة المختلف معرفة حقيقية، قوية وعميقة لاكتشاف ما يحمله من طاقات ومواهب ومن غنى وعوامل الخير

المدفونة فيه فما زلنا نجهل بعضنا بعضاً وما زلنا أيضاً بعيدين عن معرفة الواحد الآخر لأسباب عديدة ومختلفة كأزمة الثقة أو الخوف مما يحول دون التعرف على بعضنا.

الطريق إلى التعايش السلمي

قد تكون هناك طرق عديدة ومختلفة لتعزيز وترسيخ هذا التعايش السلمي. ولكننا نعتقد بأن أنجح وأنجع طريق ليقوم ويدوم هذا التعايش إنما هو طريق الحوار وعلينا جميعاً أن نسلكه ونتبعه إذ دلل وما يزال يدلل على فعاليته ونجاحه وفائدته بعد فشل أسلوب النقاش غير المجدي وكذلك فشل أسلوب الجدال العقيم والسقيم حيث يذهب كل طرف أو كل فريق إلى إثبات صحة ما يقوله وبطلان ما يذهب إليه الآخر.

أما هذا الأسلوب الذي يفترض وجود الاختلاف ويتطلب العرض وليس الفرض فهو يسعى إلى فهم هذا الاختلاف وتوضيحه من أجل قبوله أو احترامه كما يسعى إلى التلاقي على الثوابت والمشتركات وهي كبيرة وكثيرة من اجل استثمارها لإرساء أسس ودعائم المحبة والسلام فيما بيننا كبشر وكأهل الأديان.

الايزيدية ديانة متسامحة
ولها مشتركات مع بقية الأديان

خيري بوزاني
مدير عام شؤون الايزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
حكومة إقليم كوردستان

التعريف بالايزيدية

الايزيدية هي ديانة توحيدية قديمة قائمة بذاتها، تحمل إرث الديانات الشمسانية الطبيعية العريقة، ومنها الديانة المثرائية في منطقة وادي الرافدين (الميزوبوتاميا) وأيضا في القسم الإيراني والهندو إيراني، بمعنى أنهم من بين أقدم الديانات

الكوردية في منطقة الشرق. وهي ديانة توحيدية وليست ديانة ثنوية، إذ لا وجود لمفهوم الشر الخالص في فلسفتها حيث للخير والشر منبع واحد، فاللّٰه سبحانه وتعالى هو مصدر كل شيء.

وإلى جانب عبادة الايزيديين للإله الأوحد الذي يسمى في لغتهم الكردية (خودا- خودى أو ايزي - يزدان)، فإنهم يقدسون الملائكة ورئيسهم (طاؤوس ملك) ويكن الاحترام للأنبياء والأولياء والصالحين وخاصة الشيخ أدي ومن خلفه، هي ديانة لا تقر بالواسطة بين اللّٰه والبشر وجعلت العلاقة بين الطرفين مباشرة، بهذا يتجلى التصوف والعرفانية بين ثناياها، كما أن للشمس مكانة ومنزلة خاصة ومميزة حيث تعتبر إحدى مظاهر تجليات اللّٰه.

تعتقد الايزيدية بمبدأ التقمّص وتؤمن بيوم الآخرة، هي ديانة غير تبشيرية وتوسعية ولا تسعى إلى الحكم، وتحرم القتل المتعمد والزنا والربا. وتعتبر الديانة الايزيدية كمرآة تعكس من خلالها عادات وطقوس ورموز وعبادات متنوعة للديانات الشرقية القديمة والعريقة.

تسمى بالايزيدية نسبة إلى (أيزدان - اللّٰه) أي أن الايزيدون هم الأفراد الذين يتبعون اللّٰه سبحانه وتعالى.

أما كلمة (أيزيدي- أزدايى - الايزيدية) فهي مشتقة من الكلمة "إيزد- " Ized بمعنى(الملك الإله) و يزاتا Yazata في الآفيستا بمعنى يستحق العبادة، ويزد Yazd باللغة البهلوية وياجاتا Yajata في السنسكريتية. وبذلك يكون معنى أزيدي Azidi وإيزيدي Izidi وإزيدي Izedi أو Izdi عباد اللّٰه. وهي مشتقة كذلك من الكلمة السومرية (ئي - زي - دي) بمعنى غير المتلوثين والذين يتبعون الطريق الصحيح.

يعتبر الموطن الأصلي للايزيديين كل من: كردستان العراق، سوريا وتركيا. كما يتواجدون في كل من أرمينيا وجورجيا وأوكرانيا وبقية جمهوريات روسيا الاتحادية، ومجاميع عديدة موزعين بين دول أوربا ومجموعة قليلة في إيران.

مع أنه لا يوجد إحصاء رسمي ودقيق حتى الآن للايزيديين، إلا أنه يمكن إعطاء عدد نفوسهم التقريبي، علماً أن ثقلهم يتركز حالياً في كردستان العراق ويقدرون بحوالي (550000) خمسمائة وخمسون ألف موزعين على أقضية شنكال/ سنجار، الشيخان، تلكيف، وقصبتي بعشيقة وبحزاني (محافظة نينوى) وفي زاخو وسميل (محافظة دهوك). ويصل تعدادهم في كردستان سوريا (المتبقين منهم حالياً) حوالي(17000) سبعة عشر ألفاً؛ (12000) إثنا عشر ألفا منهم يسكنون في منطقة كورداغ بمحافظة حلب،

أما الباقون فيسكنون في منطقة الجزيرة (الحسكة وقاميشلي) وهاجر ما لا يقل عن(10000) عشرة آلاف ايزيدي إلى ألمانيا وبلدان أخرى. أما في كردستان تركيا فكان تعداد الايزيديين أكثر بكثير من إيزيدية سوريا(40-50) ألف هاجر معظمهم إلى ألمانيا والبلدان الأوربية ولم يبق في تركيا غير حوالي(1000)ألف شخص. وفي جمهوريات روسيا الاتحادية يعيش أكثر من(280000) مائتان وثمانون ألف إيزيدي، أغلبهم في جمهوريتي أرمينيا وجورجيا. وفي جمهورية ألمانيا الاتحادية فقط يعيش ما بين (55-60) ألف ايزيدي، وعشرات آلاف آخرين يعيشون في بلدان أوربا إضافة إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا واستراليا.

تعتبر الديانة الايزيدية إحدى أكثر الأديان التي عانى أتباعها الأمرين، فهم تعرضوا إلى أبشع الحملات العسكرية: من قتل وتهجير وسبي وتدمير... ليس هذا فحسب بل اتهموهم بالكفر والإلحاد واللعنة واستبيحت دمائهم وحَطّ البعض من أخلاقهم وعاداتهم، وبعدها حوربوا على مرّ العصور ولم يرحمهم احد. شنوا عليهم حرباً شعواء، استعملوا فيها جميع الطرق، ونكلوا بالقائمين على الديانة حتى أبادوا منهم مئات الألوف وشردوا الآخرين تحت كل سماء. لم يكتف الغزاة بالقتل والتشريد إنما

قاموا بخلق افتراءات لا أساس لها بتاتاً علىهم يؤلبون كل الإنسانية ضدهم .

التسامح في الأدعية والنصوص الدينية الايزيدية

على الرغم من كل هذا وذاك، تبقى الديانة الايزيدية ديانة تشدد على بث روح التسامح والتعايش بين أبنائها، ولا يكاد يمر نص ديني علينا إلا ويؤكد على الاستمرار بالحياة المشتركة والحث على المحبة بين الناس والتعايش الأخوي. فبعد كل صلاة، يردد الايزيدي هذا الدعاء :

yaxudê tu li heftî u dû milleta bêye rehmê u paşî me jî

((اللهم أدعو أن ترحم اثنتين وسبعون ملّة ومن ثم أرحمنا يا رب العالمين)).

ترى هل هذا يحتاج إلى تعليق أو شرح؟ إن لم يكن ذلك نابعا من عمق إيمان الايزيدية بالتسامح والتعايش فماذا يكون؟ سيما وأن الايزيدية يرددون نصوص أدعيتهم مع أنفسهم وليس بصوت عال. أي أنهم في قرارة أنفسهم يقولون هذا وليس علنا حتى

يسمعها غيرهم. هذا وناهيك عن العشرات من النصوص الدينية المقدسة التي تدعوا إلى التسامح والتعايش والتآخي وقبول الأخر. وعلى سبيل المثال لا الحصر، نورد هذا النص المقدس:

Heke tu kesekî bibînî
Xêrekê vêra bi gehînî
Jê ne pirse , tu ji kîj dînî

ومعناه:
إذا رأيت أحداً
ومنحته صدقة
فلا تسأله عن ديانته

التسامح والعلاقات الاجتماعية

تزخر الديانة الايزيدية بظواهر اجتماعية تشجع وتدعوا إلى التسامح وقبول الآخر. ومن هذه الظواهر الكرافة (kirîv) التي تعتبر نظاما اجتماعيا إنسانيا إيزيديا متميزا وأصبحت هذه الظاهرة عرفا مشروعا بكيفيته وإحكامه وأثارها وأهدافها. والكرافة بمعناها الاصطلاحي في الايزيدية تعني ان يتخذ الايزيدي باختياره شخصا آخر (غالبا ما يكون مسلما) كريفا له أي ان يتآخى معه وعن طريق رابطة الدم المقدسة. ولهذا التآخي

أسباب متعددة كقناعة الايزيدي بارتباطه الوثيق مع أخيه (الكريف) ولترسيخ أواصر المحبة والأخوة فيما بين الايزديين وجيرانهم من المسلمين وإقامة تعايش قائم على السلام والوئام وقبول الآخر.

الايزيدية لديها مشتركات مع بقية الاديان

نوهنا سلفا بأن الايزيدية ديانة قديمة جدا، وان جذورها تصل للعهود السومرية والبابلية بشكل يمكننا التأكد منه من خلال دراسة موضوعية ومتآنية لبعض العادات والممارسات التي يحتفظ بها الايزيدية لغاية يومنا هذا، مع مقارنتها بما كانت تمارسه الشعوب التي تعاقبت على السكن في وادي الرافدين من عادات و طقوس وشعائر دينية في المناسبات المختلفة، وأيضا من التسميات التي كانت تطلق على المعابد أو بعض رجال الدين وغير. ويجب أن نتقبّل وبموضوعية الفكرة القائلة بان الإيزيدية قد تأثرت بالأديان والأفكار التي هبّت رياحها على موطن سكناهم خلال ما لا يقل عن أربعة آلاف عام من العمر الافتراضي للإيزيدية، وهذا ليس عيبا بقدر ما هو دليل على إن الإيزيدية تفاعلوا و يتفاعلون مع محيطهم وأيضا يعني إنهم أعطوا واخذوا بالمقابل.

إذن في كل المجتمعات والشعوب والأديان في هذا الكوكب نجد أن هناك صفات وطقوس متشابهة بين هذه الشعوب والأديان والقوميات المختلفة، ولا يستطيع أحد أن يجزم بأن تلك الصفة المشتركة والمتشابهة تعود إلى دين أو مجتمع معين اعتباطا دون الرجوع إلى مصادرها ومراجعها الأولية والأصلية التي انبثقت منها تلك الصفة في بداية ظهورها ومن ثم دراستها وتحليلها، وحينها نستطيع أن نحدد أن تلك الصفة تعود للدين الفلاني، استنادا إلى الدلائل التاريخية والمثولوجية العائدة لتلك الصفة المشتركة بين الأديان المختلفة في التاريخ. أو أن هذه الصفات والطقوس الدينية المتشابه والمشتركة بين الشعوب والأديان المختلفة مارسها قوم أو دين معين قبل الآخر في كوكب الأرض وفي التاريخ البشري بشكل عام. لهذا السبب نجد أن الحضارات المتعاقبة على هذا الكوكب تنحدر وتصنف في جدول زمني يحدد مجيء ذالك الدين وتلك الحضارة في فترة معينة من التاريخ وبهذه الطريقة أيضا يحدد مجيء الأنبياء والأديان. ومن هذه الصفات المشتركة والمتشابه بين الأديان والشعوب ومنها الايزيدية وبقية الأديان: الصوم ـ الدعاء ـ الصلاة ـ الحج ـ الأعياد ـ العبادة ....الخ.